



أمرؤ القيسين

الملك الضليل

إعداد
محمد رضا مروة
ماجستير في اللغة العربية وأدابها

مكتبة لسان العرب
الاعلام من الادباء والشعراء
www.lisanarb.com

أَمْرُكَ الْقَيْسِنْ^{لِحْنٌ}

الْكَلِيلُ الضَّلِيلُ

إعداد
مجتهد رضا مرقعة
ماجستير في اللغة العربية وآدابها

دار الكتب العلمية

بيروت - بيروت

مكتبة لسان العرب
www.lisanarab.com

جميع الحقوق محفوظة
لدار اللسان العلمية
بيروت - لبنان

طبعة من دار اللسان العلمية - بيروت - لبنان
مرتب: ١١/٩٤٤٤ متلكس - ناشر: ٤٢٤٥٦٨
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٠٥٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تناول امرأ القيس بالدراسة أدباء وعلماء من التاريخ القديم والحديث، وأفاضوا في تحليل شعره، ودراسة آثاره. وكانت هناك آراء مختلفة ومتضاربة، حتى ظن البعض وشكك بصحة ما وصلنا من أدب جاهلي.

لكن دراستنا أخذت بعين الاعتبار أثراً أدبياً هو - ديوان امرأ القيس - وحاولت تبسيط الدراسة، وعدم الغوص في خلافات النقاد ووجهات نظرهم إلى التراث، الذي لا بد منه كي نستمر ونبقى ، لأننا بدونه نكون كمن يمشي في المجهول، ويسير إلى الهاوية.

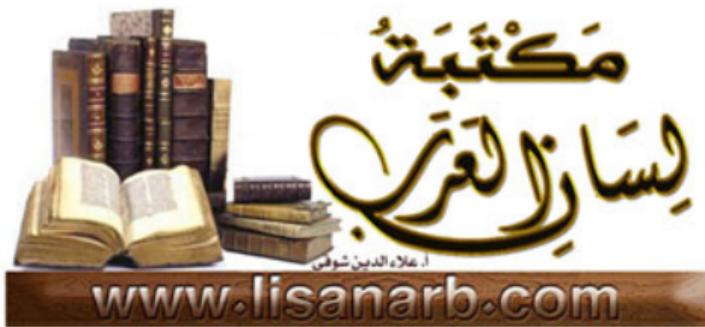
كانت الصعوبة في التبسيط لأن الآراء كثيرة، والاتجاهات مختلفة ومتضاربة. لكن الذي ساعدنا، تلك المسؤولية تجاه

الأجيال المتعطشة لمعرفة تراثها وتاريخها فحملنا أنفسنا وسرنا متسلحين بإيمان كبير بالعلم والبحث، للوصول إلى الحقيقة وأخذذين سندًاً آراء السابقين واللاحقين. وارتكتزنا على دراسات أنارت لنا ما ظلم في طريق العلم. وسهلت عندنا الكثير من الصعاب. حتى وصلنا إلى أغراض وأهداف نتمنى أن تكون صائبة أو شبه صائبة. لأن الأعمال مهما بلغت لن ترقى إلى درجة الكمال، لأن الكمال لله وحده، ولا يشكل عملنا إلا نقطة في بداية سطر الحياة، وموجة من أمواج البحر الهاادر. إذ يمكن أن يكون كنفس الإنسان التواق إلى الكشف والمعرفة، مع تحمل العنااء والمعاناة للوصول إلى السمو والرقة.

ومهما حاولنا - في هذه الكلمات القليلة - فإننا نقصر عن كشف ما نريد. وندع القارئ الكريم، للولوج، للإبحار في طيات الدراسة، ليكتشف بنفسه روعة شعر الأسلاف، وجميل القول عند امرئ القيس.

الطبعة - ١٧ - ١٩٨٨

محمد رضا مروه



العصر الجاهلي

هو الحقبة الزمنية التي سبقت ظهور الإسلام. وسمى جاهلياً بسبب ما فشا فيه من الجهل وعبادة الأوثان. وجاءت تلك التسمية في القرآن الكريم «فحكم الجاهلية يبغون». وكذلك وردت التسمية في سورة الأعراف «خذ العفواً وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين». ووردت كذلك في شعرهم، وفي معلقة عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلين

ويحدد الباحثون تلك الحقبة بالزمن الذي تكاملت للغة العربية خصائصها العامة، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي. وهذا ما يحدده الجاحظ في كتاب الحيوان بقوله «أما الشعر العربي، ف الحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه أمرؤ القيس بن حجر، ومهلل بن ربعة، .. فإذا استظرهنا

الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام،
وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام..».

ويمكن تسمية الفترة الزمنية قبل هذا التحديد (١٥٠ - ٢٠٠)
عاماً، بالجاهلية الأولى التي لم يصلنا من أخبارها سوى ما جاء في
القرآن الكريم عن عاد وثモود، وطسم وجديس وجرهم.

وبنفي أن ندرك أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا
العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقضه، إنما
هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب.

أما الجاهلية الثانية، فهي الفترة الزمنية التي تمتد من
(١٥٠ - ٢٠٠) سنة قبل مجيء الإسلام. أي هي الفترة التي تقع
بين السنة ٤٥٠ والسنة ٦١٠ م. وقد تركت لنا آداباً وأخباراً، يصح
أن نثق بقسم غير قليل منها. أما مسرحها فكان القسم الشمالي من
شبه جزيرة العرب.

ويختلف عرب الجاهلية الثانية عن عرب الجاهلية الأولى، لغة
وديناً وأدباً وخلفاً. وكانوا أهل تمدن وحضارة. وأهم أقطارهم:

١ - الحجاز: وهو قطر فقير، مياهه قليلة، وأرضه جديبة،
وحرارته شديدة. من أشهر مدنه - مكة، ويشرب (المدينة)
والطائف.

٢ - نجد: ألطاف المناطق، فيه واحات ومراع يجودها الغيث.

مناخه أفضل وأصيع مناخات الجزيرة العربية. وطبيعته على قسط وافر من الجمال. ولقد تغنى الشعراء بهوائه ومنظمه الخلابة، فكثر على الاستئتم ذكر الصبا^(١) والخزامي والعرار.^(٢) ويعتبر هذا الإقليم موطن معظم الشعراء الجاهليين.

٣ - نهامة: وهو قطر منخفض غائر، شديد الحرارة، وطبيعته قاسية.

ونجد إلى جانب هذه المناطق والأقطار عدداً من الصحاري الرملية ومن الحرات وهي صحاري رملية متراصة الأطراف تلين حيناً، وتصلب حيناً.

وظهر في هذا العصر إمارات أهمها:

١ - إمارة الغساسنة التي حالفت البيزنطيين.

٢ - إمارة المناذرة (أو الحيرة) في العراق وكانت موالية للفرس.

٣ - إمارة كندة: وكانت تدين بالولاء لملوك اليمن الحميريين.
ويقسم المجتمع الجاهلي إلى قسمين كبيرين:

١ - البدو: ومنهم القبائل الشمالية. التي تقسم بدورها إلى
قسمين:

(١) الصبا: ربيع شرقية تهب على نجد، لطيفة باردة.

(٢) الخزامي والعرار: نوعان من الزهور رائحتهما زكية.

أ - عدناني مضرى .

ب - قحطانى يمنى .

٢ - الحضر : من أهم حواضرهم - مكة - التي وصفها القرآن الكريم : بساد غير ذي زرع . وهي بلد التجارة والقوافل ، ومن أهم المراكز الدينية في الجزيرة العربية . وأهم قبائلها - قريش - أسياد الجزيرة . وقد وصفهم ابن قتيبة بقوله : «أهل مكة لم يؤدوا في الجاهلية إتاوة قط ، ودانوا لهم خزانة وثيقف ، وعامر بن صعصعة . وفرضوا على العرب قاطبة أن يطروا أزواد الجل إدا دخلوا الحرم . وهم بعد أعز العرب ، يتأنرون عليهم قاطبة . كل ذاك يؤكّد مكانة قريش ، وزعامتها العرب ، فهي بيت تجارتهم ، وبيت كعبتهم المقدسة» . ومن المدن المهمة أيضاً - الطائف - جدة - ويترتب (المدينة) .

أيام الجاهلية :

كانت حياة العرب في الجاهلية تقوم على الحرب والقتال المستمر . حتى يتصور الباحث أن حياتهم كانت حروباً مستمرة . وكانت تلك الحروب - الأيام - تسمى غالباً بأسماء البقاع والأبار التي نشبت فيها . وهي كثيرة جداً ولكن أهمها :

١ - يوم خزار : بين ربيعة واليمن من مدحع .

٢ - حرب البوس : بين قبيلتي بكر وتغلب . حدثت في أواخر

القرن الخامس الميلادي . وكان سببها اعتداء كلب سيد تغلب على ناقة للبسوس خالدة جساس بن مرة سيدبني بكر . واستمرت كما يقال أربعين عاماً.

٣ - داحس والغبراء : كانت في أواخر العصر الجاهلي . وكان الرهان بين سيدى عبس وذبيان : قيس بن زهير، وحديفة بن بدر على أفضلية السباق بين الفرسين داحس والغبراء .

ويقىت الحرب طويلاً إلى أن تدخل سيدان من ذبيان هما - هرمة بن سنان - والحارث بن عوف المرئي ، فتحملتا ديات القتلى .

الأحوال الاجتماعية :

كانت القبيلة في الجاهلية تتألف من طبقات ثلاثة :

١ - أبناء القبيلة : الذين يرتبطون بالحسب والنسب وعلاقة الدم والقربى وهم عمادها وقوامها .

٢ - العبيد : وهم الرقيق الآتي من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة .

٣ - الموالي : وهم العتقاء ، يدخل فيهم الخلاء ، ومنهم طائفة الصعاليك المشهورة .

وأول ما يتمثل في الحياة القبلية في العصر الجاهلي ، التضامن الذي أحكم عراه ، حرصهم على الشرف والمرودة ،

والحلم والكرم والوفاء وحماية الجار وسعة الصدر، والعفو عند المقدرة.

والقبيلة هي الوحدة الاجتماعية ضمن النظام القبلي السائد. ولا مكان للفرد والتمرد فيه. إذ كان على الفرد أن يكون جزءاً لا يتجزأ من هذه القبيلة، لا رأي له، ولا يمكن أن يتطاول على التقاليد والعادات والأعراف، التي كانت أقوى من القوانين والدساتير حسب مفهوم العصر الحديث. والفرد بالنهاية وجد لخدمة المجتمع-القبيلة-. وهو نافع للكل، ينتصر لأبناء قومه مهمما تكن حالهم:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
للنائبات على ما قال برهانا

وقيل في موضع آخر:

وما أنا إلا من غزية إن غوت
غويت، وإن ترشد غزية أرشد.

وكانت علاقة القبائل ببعضها، علاقة عداء، تغير الواحدة على الثانية فتغنم مالها، وتسيي نسائها، وتعود الأخرى فتربص بها الدوائر وتنتظر الظروف لتغنم منها:

يغار علينا واترين فيشتفي
بنا إن أضيّبنا أو نغير على وتر^(١)

(١) الوتر: القاتل. المotorقتل له قتيل فلم يأخذ بدمه.

قمنا بذلك الدهر شطرين يبتا
فما ينقضي إلا ونحن على شطر

وكان للصراعات تأثير كبير على حياة العرب السياسية، إذ أنهم لم يأتلروا تحت مبدأ سياسي موحد وتقسموا بين مواليين بين الدول الكبرى التي كانت تقيم إمبراطوريات حول الجزيرة العربية، فوالى الفسasseة الروم، والمناذرة الفرس. وكثنة كانت تحالف حسب مصالحها. وبقيت قبائل البدو الرحل تدين لشيخ القبيلة بكل ما يصدره.

أضف إلى ذلك أن عرب الجزيرة عرفوا ديانات مختلفة، فكان منهم النصارى في نجران وبلاد اليمن، وفي الشام موطن الفسasseة، وفي الحيرة وبعض أجزاء الحجاز، أما اليهود فكانوا في اليمن ومدن خيبر ويثرب وتيماء. والوثنية كانت هي الطاغية في جزيرة العرب، وكانت تعبد الأصنام والأوثان. والأوثان كانت مصورة منها - مناة - والعزى واللات. وكانت الكعبة مقدسة عند الوثنين يحجون إليها في مواسم معينة وفيها أصنامهم ومنها: هيل: المصنوع من العقيق على صورة إنسان. وإلى جانب هذه الديانات، كانت في بلاد العرب جماعة يسمون - الأحناف - الذين يرجعون إلى ملة إبراهيم الخليل. وهي تقوم على الإيمان بالله وبال يوم الآخر والقضاء والقدر.

أما الصابئة، فهم عبادة الكواكب والنجوم، أهم

مذنهم - حرّان - وما بين البحرين . والدهرية هم القائلون : لا يهلكنا إلا الدهر .

بالرغم من هذا كله تفشت في المجتمع الجاهلي أمراض كثيرة منها : تفشي الخمر واستباحة النساء والميسر ، وقانون الأخذ بالثار التي ساد في ذلك المجتمع .

أما المرأة فإننا نلحظ نوعين من النساء عندهم :

١ - إماء : كنَّ في منزلة دانية . ومنهن القيبات في الحوانيت والخمارات . كما كان منهن جوار يخدمن الشريفات .

٢ - الحرّة : كانت في منزلة رفيعة تقوم بطبعي الطعام ونسج الثياب وإصلاح الخباء . وهناك الشريفات المخدومات ، فإنه كان يقوم لها على هذه الأعمال بعض الجواري . وكانت متزلفهن سامية رفيعة .

وكانت النساء تخرج مع الرجال إلى الحرب . ولكن يشدن الأشعار والأناشيد الحماسية ، لإثارة الحمية عند الرجال المقاتلين . والمرأة لم تكن مهملاً كما يظن البعض بل كان لها قدرها عندهم . أما قضية الوأد التي نسمع عنها ، فإنها كانت وحدها عند بعض أجلال القوم وقساطهم ، الذين كانوا يخشون من الفقر والسيء إذ كان سباؤهن كثيراً في الجاهلية ، وكانوا يعدون ذلك سُبّة ما بعدها سبة .

أسواق العرب :

١ - سوق عكاظ : كانت أكبر أسواقهم، ولم تكن سوق تجارة فحسب، بل كانت سوقاً للخطابة والشعر وكانت أشبه بمؤتمر كبير للعرب فيه يجتمعون وينظرون في شؤونهم الحياتية . وإلى جانب عكاظ وبالقرب منه كان سوق ذي المجاز.

٢ - دومة الجندي .

٣ - سوق المربد في العراق .

بالإضافة إلى هذه الأسواق ، كانت هناك أسواق - خير ، وسوق الحيرة وسوق صحار ، وسوق المشقر ، وسوق صنعاء وعدن ونجران . وكان لكل سوق من هذه الأسواق وقت معلوم تعقد فيه .

أما معارفهم فتتلخص ببعض العلوم القائمة على الملاحظة والتجربة ولم يستند عرب الجاهلية من علوم الأمم والحضارات التي حالفوها . وكانت علومهم محدودة لم يخطوا فيها خطى واسعة في طريق الحضارة والتقدم ، فقد كان عندهم علم بالزراعة وهندسة إرواء الأرض وإقامة المدن ، ولم يكن عندهم ثقافة ذات معالم بينة .

وبالرغم من اتصال القبائل الشمالية بالحضارات الفارسية ، والبيزنطية ، واحتياكهم ببيانات مختلفة فإن ذلك كان يجري ضمن حدود ضيقية .

وكان لهم معرفة بعلم النجوم ومطالعها، وأنوائها، وأمطارها يقول الجاحظ: «وعرفوا الأنواء، ونجوم الاهتداء لأن من كان بالصحاصل الأماليس^(١)، حيث لا أمارة ولا هادي مع حاجته إلا بعد مشقة، مضطرب إلى التماس ما ينفعه ويؤديه^(٢)، ولحاجته إلى الغيث، وفراره من الجدب، وضنه بالحياة، اضطررته الحاجة إلى تعرف شأن الغيث، ولأنه في كل حال يرى السماء، وما يجري فيها من كواكب ويرى العاقب بينها، والنجوم الثوابت فيها، وما يسير منها مجتمعاً وما يسير منها فارداً، وما يكون منها راجعاً ومستقيماً، وسئللت أعرابية فقيل لها: أتعرفين النجوم؟ قالت: سبحان الله أما أعرف أشبلحاً وقوفاً كل ليلة». ويقول صاعد بن أحمد المتوفى سنة ٤٣٥ هـ «كان للعرب معرفة بأوقات مطالع النجوم وغيابها، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في أسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق ولا على سبيل التدرب في العلوم».

وبهذا القياس كانت معارفهم الطبية، فقد عرفوها بالتجربة مثل: الكي بالنار وفوائد بعض الأعشاب والنباتات. ويقول ابن خلدون في ذلك: «للبلادية... طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثة عن مشايخ الحي

(١) الصحاصح: الأرض المستوية. الأماليس: التي ليس بها ماء ولا شجر.

(٢) يؤديه: يعيشه.

وبحاجتها، وربما يصح منه البعض». إلا أنه ليس على قانون طبيفي ولا على موافقة المزاج. وكان عند العرب من هذا الطلب كثير وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره». ومن أهم معارفهم الطبية معارفهم البيطرية، خاصة فيما اتصل بالخيل والإبل.

وهذه العلوم جميعها علوم أولية، تقوم على التجربة الناقصة، ولا تؤسس على قاعدة ولا على نظرية «فهم في جمهورهم بدو، ليسوا أصحاب علم ولا نظر عقلي مؤسس على أسلوب علمي».

وكل هذا يدل على أن التسبيب العقلي عندهم كان ضعيفاً، وأنهم كانوا لا يحسنون ربط المسببات بأسبابها ربطاً محكماً؛ وهذا طبيعي فقد كانوا في طور البداوة، ولم يفهموا الارتباط بين العلة والمعلول.

وأهم ما يلفت نظر الباحث في تلك الفترة - اللغة - وتطورها، الذي نراه في الشعر الجاهلي ، وفي المعلقات خاصة. واعتمدوا في ذلك على الرواية. ونشأت عندهم طبقة من الرواية. وكانوا ينشئون شعرهم إنشاداً ومنهم من كان يعد قصيدته في حَوْل أو أقل ، ويرددوها في ذاكرته ثم ينشدتها ، ويحملها الناس عنه . وفي هذا يقول الجاحظ «وكل شيء للعرب فإنما هو بديهي وارتجال وكأنه إلهام .. فما هو إلا أن يصرف (العربي) وهذه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي يقصد ، فتأتيه المعانى أرسالاً (أفواجاً) وتثال عليه الألفاظ اثنين ، ثم لا يقيده على نفسه».

والشعر أنواع هي: القصصي، والتعليمي، والغنائي، والتمثيلي. والشعر الجاهلي أكثره من الشعر الغنائي الذي يصور نفسية الشاعر وعواطفه وأفراحه وأحزانه. وفيه المدح والهجاء والغزل والوصف والرثاء. وكل هذه الموضوعات تتصل بالغنائية وينفسية الشاعر نفسه. وأول ما يلفت النظر على معاني الشعر الجاهلي، أنها معانٌ واضحة بسيطة «ليس فيها تكلف ولا بعد ولا إغراق في الخيال سواء حين يتحدث عن أحاسيسه أو حين يصور ما حوله من الطبيعة، فهو لا يعرف الغلو ولا المغالاة، ولا المبالغة التي قد تخرج به عن الحدود المعتدلة».

من هنا كان شعرهم وثيقة لمن يريد أن يعرف حياة الجاهلين وبيتهم. والملاحظ أيضاً أن القصيدة الطويلة عندهم لم تكن ترتبط بموضوع واحد، بل تجمع طائفة من الموضوعات والعواطف، لا تظهر بينها صلة ولا رابط. فهي مجموعة من الخواطر يجمع بينها الوزن والقافية. ومع هذا فإن الروح القصصية عندهم تبدو واضحة خاصة في بعض المعلقات وفي شعر جماعة الصعاليك.

حياة امرىء القيس

(٥٦٥ - ؟)

حامل لواء الشعراء، وأول من وقف، واستوقف، ويكتئي، واستبكي، وذكر الحبيب والمتزلم هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر أكل المرار ابن معاوية بن الحارث بن بعرب بن ثور بن مرتع^(١) بن معاوية بن كندة.

وقيل إن اسمه، حنْدُج بن حُجْر^(٢)، وامرؤ القيس^(٣). وبهذا الاسم اشتهر، وعرفته الناس قديماً وحديثاً.

ويلقب بالملك الضليل، ويكتنى أباً وهم، وأباً زيد، وأباً الحارث وذا الفروع^(٤) وإياه عن الفرزدق بقوله:

(١) مرتع بسكون الراء وكسر الناء. ذكره ابن ماكولا وابن الكلبي وقال: سُنَّي بذلك لأنَّه كان يقال له: أرْتَنَا فيقول: أرْتَنَّكُمْ أرضَ كَذَا وَكَذَا.

(٢) الحندج: الرملة الطيبة تنبت نباتاً طيباً.

(٣) امرؤ القيس: رجل الشدة.

(٤) أبو الحارث: كنية الأسد. وذو الفروع: مأخوذ من قوله:

وبدلَتْ قرحاً دامياً بعد صحة
لعمل منابانا تحولن ابؤساً

وَهُبْ لِي الْقَصَائِدُ لِي التَّوَايِعَ إِذْ مَضَوا
وَأَبُو يَزِيدُ وَذُو الْقَرْوَحِ وَجَرْوَلُ^(١)

وأمّه هي فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كلبي ومهمهل^(٢) ابني ربيعة التغلبيين . ولم يثبت المؤرخون والباحثون سنة مولده بدقة ، ويظن أنها كانت حوالي سنة ٥٠٠ م بينما يقول لويس شيخو : « إنها كانت سنة ٥٢٠ لل المسيح في نجد ». وقيل « إنه ولد ببلادبني أسد ، وإنه كان يتزل المشقر من اليمامه » ويقال : « بل كان يتزل في حصن من البحرين » وقيل أيضاً إنه من أهل نجد ، والديار التي وصفها في شعره كلها دياربني أسد .

أما كندة قبيلته فهي من قبائل العرب القحطانيين ، وإنها تُنسب إلى ثور بن عمير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد پبن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا . وثور هذا هو كندة . ويقال : إنه سُمي كندة لـإنه كند أباه ، أي عمه .

ويجمع المؤرخون أن موطن كندة الأصلي كان في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة العرب ، فهم من القبائل القحطانية التي

(١) أبو يزيد : هو المحبيل السعدي .

ذو القرود : امرأة الفيس .

جرول : الخطينة .

(٢) قيل إن المهمهل حاله هو الذي لفته فن الشعر حتى نبغ فيه ، إلى أن تقدم على سائر شعراء عصره .

كانت تسكن اليمن في الأصل، ويقول ياقوت «إن كندة مخلاف
باليمن هو باسم قبيلة كندة» وابن خلدون يقول: «إن موطن كندة
الأصلي كان بجبال اليمن مما يلي حضرموت». ويقول
الهمداني: «بلد كندة من أرض حضرموت». ويدرك من بلادها:
هَيْنِ، وصوران، وعندل. ويقول إن امراً القيس قال فيها:

كأني لم أهو بـلْمُون مرة
ولم أشهد الفارات يوماً بعندل

ويذكر اليعقوبي «أنه كان بين كندة وحضرموت حروب أفت
عامتهم، وبعدها لانت كندة وكرهت محاربة حضرموت، ودخل
أهل اليمن التشتت والتفرق، فلما افترق أهل اليمن، وانتشروا
في البلاد، ملك كل قوم عظيمهم، وصارت كندة إلى أرض معدّ،
فجاورتهم، ثم ملكوا رجلاً منهم كان أول ملوكهم، يقال له:
مرتع بن معاوية بن ثور».

فكندة كانت من القبائل اليمنية الأصل. وقد هاجرت مثل
غيرها من اليمنيين الذين تركوا اليمن، واستوطنوا أماكن جديدة في
القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية بين إخوانهم العرب
العذنانيين. فأقاموا لهم مملكة في الشمال مدة من الزمن، وكان
هناك في ذلك الوقت ملوك اليمن في القسم الجنوبي من شبه
الجزيرة العربية، وقياصرة الروم في الشمال، والأكاسرة في بلاد
الفرس. كما كان هناك من العرب مما يجاور بلاد الروم والفرس

مثل ملوك غسان وملوك اللخميين المناذرة في العيرة. وحسب قول بلاشير «فإن ملوك كندة كانوا ينحازون حسب مصالحهم، تارة إلى بيزنطة، وتارة إلى فارس».

ويذكر المؤرخون أنه وجدت في الجزيرة العربية آنذاك ثلاث ممالك: الغساسنة، والمناذرة، وكندة: «وتضاربت مصالحها وكانت بينها حروب طويلة وقد أدى التنافس في السيادة والسلطان بين هذه الإمارات العربية الثلاث إلى وجود تنازع واختلاف، وتحاسد، مما أحدث بينهم كثيراً من التطاحن والقتال».

والثابت تاريخياً أن أهم ملوك كندة هو - حجر بن عمرو - الذي دام ملكه ثلاثة وعشرين عاماً. وأتى بعده ابنه - عمرو بن حجر - وبعد عمرو - تولى ابنه الحارث وهو أشهر رجال في كندة. «إذ كان أشدهم بسالة وإقداماً، وقد وسع ملك كندة، وفرض سلطانه على بكر وعلى قبائل أخرى وتوصل إلى أن أصبح ملكاً على العيرة».

وقد اختلف المؤرخون في السبب الذي جعل الحارث بن عمرو الكندي يحكم عرش المناذرة؛ فقيل: «إنه لما اعتقد المزدكية - قباد - ملك الفرس، طلب - قباد - من المنذر بن ماء السماء اللحمي أن يدخل فيما دخل فيه من مذهب مزدك وزندقته، فلما امتنع المنذر قدعا - قباد - الحارث بن عمرو الكندي إلى ذلك، فلجاجبه، فاستعمله على العيرة، وطرد المنذر من مملكته».

وعندما خلف - كسرى أنوشروان - قباد - على ملك الفرس حارب المزدكية وأنصارها. وفي عهده انتهى حكم كندة للحيرة، ورجع الأمر إلى المناذرة.

ويقال إن حكم كندة انتقل بعد موت العاشر - إلى أكبر أولاده - حجر وهو ابن أم قطام بنت سلمة بن مالك بن العاشر بن معاوية بن كندة وحجر هذا هو والد أمرئ القيس الشاعر المشهور.

وانتهت دولة كندة من الوجود في القرن السادس الميلادي. وأهمية تلك الدولة تعود إلى أنها أول مملكة في الجزيرة العربية حاولت أن تجمع شمل العرب تحت زعامة مركزية واحدة، يتولاها سيد واحد.

وتذكر الروايات أن حجراً والد أمرئ القيس، قد ساءت سيرته فيبني أسد، فتنكروا له، وأزمعوا على قتله تخلصاً من ظلمه وبطشه، فقد ذكر ابن الكلبي أن حجراً لما «كان فيبني أسد، وكانت له عليهم أتاوة في كل سنة مؤقتة، فعمر ذلك دهراً، ثم بعث إليهم جابيه الذي كان يجيئهم فمنعوه ذلك، وحجر يومئذ بتهامة، وضربوا رسلاً، وضرجوا بهم ضرجاً شديداً قيحاً، بلغ ذلك حجراً، فسار إليهم بجندٍ من ربعة، وجد من جند أخيه من قيس وكنانة، فأثأهم وأخذ سراتهم، فجعل يقتلهم بالعصا فسموا عبيد العصا، وأباح الأموال، وصیرهم إلى تهامة، وألى بالله أن لا يساكنوهم في بلد أبداً، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كندة

وفزارة الأسدية، وكان سيداً، وعبيد بن الأبرص الشاعر، فسارت
بنو أسد ثلاثة، ثم أن عبيد بن الأبرص قام فقال: أيها الملك أسمع
مقالتي:

يا عين فابكي ما بني
أسد فهم أهل الندامة
أهل القباب الحمر والنُّعْمَ
المؤيل والمدامه^(١)
جلاً أبیت اللعن حلأ
إنَّ فيما قلت آمة^(٢)
في كل وادٍ بين يشرب
فالقصور إلى اليمامة
تطريب عانِ أو صباح
محرقِ أو صوت هامة^(٣)
إما تركت تركت عفواً
أو قتلت فلا ملامه
أنت الملك عليهم
وهم العبيد إلى القيامة^(٤)

(١) المؤيل: الكثير، والمقتنى.

(٢) الآمة: العيب.

(٣) الهمامة: طائر يعتقد العرب أنه كان يخرج من جسد القنيل ويقول: اسفوني
ويقال إنه البومة.

(٤) راجع ديوان عبيد بن الأبرص ص ١٣٧ - ١٣٨ . دار صادر - بيروت .

قال: فرق لهم حجر حين سمع قوله، فأقبلوا حتى إذا كانوا
على مسيرة يوم من تهامة، تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة،
فقال لبني أسد: يا عبادي، قالوا: لبيك ربنا قال: من الملك
الأصهاب، والغلاب غير المغلوب، في الإبل كأنها الربرب، لا
يعلق رأسه الصخب، هذا دمه يتشعب، وهذا غداً أول من
يسلب، قالوا: من هو ياربنا؟ قال: لو لا أن تجيش نفس جاشية،
لأنخبرتكم أنه حجر ضاحية. فركبوا كل صعب وذلول، فما أشرق
لهم النهار حتى أتوا على عسكر حجر فهمجا على قبته، وحاول
حجابه منعهم وضيقوا عليه «فأقبل عليهم علاء بن الحارث
الكافاري، وكان حجر قد قتل أباه، فطعنه من خللهم. فأصاب
نساء فقتله، فلما قتلوه قالت بنو أسد: يا عشر كنانة وقيس أنتم
إخواننا وبنو عمّنا والرجل بعيد النسب منا ومنكم، وقد رأيتم ما كان
يصنع بكم هو وقومه فانتبهوهم، فشدوا على هجائنه فمزقوها،
ولفوه في ريبة بيضاء وطرحوه على ظهر الطريق».

وعندما قتل حجر كان ابنته امراً القيس يلهو ويعيش عيشة
اللامبالاة والطيش. ويقول اليعقوبي في ذلك: «إن خبر أبيه أتاه
وهو - بدّمون - من أرض اليمن، أتاه به رجل من بني عجل يقال
له - عامر الأعور - أخو الوصاف فلما أتاه بذلك قال:

تطاول الليل على دمّون
دمّون إنا مُغشّر يمانون
وإنا لأهلهما مُحبّون

ثم قال: «ضيغنى صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لا صحرا
اليوم، ولا سكر غالاً اليوم خمر وغالاً أمر» ثم قال:
خليلٌ لا في اليوم مصحى لشارب
ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب
ثم شرب سبعاً، فلما صحا آلى الآ يأكل لحماً، ولا يشرب
خمراً ولا يدهن بدهن، ولا يغسل رأسه من جنابة حتى يدرك
بثاره، فلما جنه الليل رأى برقاً فقال^(١):

أرْفَتْ لِبَرْزِقِ بِلَيْلٍ أَمْلَ
يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ^(٢)
أَنَّا نِي حَدِيثٌ فَكَذَبَتْهُ
بِأَمْرٍ تَزَغَّرُ مِنْهُ الْفُلَلِ^(٣)
بَقْتَلَ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سُواهُ جَلَلِ^(٤)
فَأَيْنَ رَبِيعَةُ عَنْ رَبِّهَا
وَأَيْنَ تَمِيمٌ وَابْنُ الْخَرْوَنِ^(٥)

(١) ديوان امريء القيس ط ١ - ص ١٤٠ - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، ١٩٨٣

(٢) أهل: أيرق من خلل السحاب.

(٣) تزعزع منه القلب : تضطرب منه أعلى الجبال .

(٤) جلل: حقير تافه، وتستعمل للعظيم الجليل، ولكنه يحتقر هنا كل شيء بعد أبه.

(٥) ربيعة وتميم: يربد قبائل ربيعة وقبائل مصر، وتميم من مصر، وكانت هذم=

أَلَا يَخْضُرُونَ لَدِي بَابِهِ
كَمَا يَخْضُرُونَ إِذَا مَا اسْتَهَلُ^(١)

وممَّا قاله في تلك اللحظة الموحشة على نفسه، معاً من طرده من ديار الأهل والعشيرة:

أَرْقَتْ وَلَمْ يَأْرُقْ لِمَا بِي نَافِعٌ
وَهَاجَ لِي الشَّوَّقُ الْهَمُومُ الرَّوَادُعُ^(٢)

ونسدل الستار على المرحلة الأولى من حياة أمرىء القيس حيث عاش فيها حياة اللهو والطيش والمجون، وكان عابتاً بالحياة لامباياً بكل قيم الوجود. وكان في هذه الفترة يتجلو في الآفاق مع صعاليك وشذاذ من أحياط طيء وكلب، وبكر. ويتنقل بهم في منازل العرب، ويعبر بهم على أحياطها، ويقاسمهم ما يحصل عليه، أو ما يقع لهم من الصيد. ويذهب بهم إلى الغدران، والرياض، يذبح لهم، ويؤاكلهم، ويعاقرهم الخمر وينشدهم الشعر، وتغنيهم القيان».

وبقي على هذه الحال إلى أن جاءته الصدمة، صدمة مقتل أبيه.

= القبائل من أعضاء كندة وأحلافها، الخول: الاتباع والأنصار.

(١) استهل: أخذ في بذل العطايا والمنع.

(٢) أرق: سهدت.

فاستفاق من غفوة الطيش واللهو إلى حياة الجد والاستعداد،
للأخذ بثار والده.

تذكر الروايات أن امرأ القيس بعد علمه بمقتل أبيه، أخذ يعد العدة لقتال بنى أسد الذين حاولوا بدورهم مفاوضة أمرىء القيس، والصلح معه، وإنها ذلك الوضع الناتج عن حادثة مقتل أبيه بالطرق السلمية.

ويورد الخليل بن أحمد تلك الرواية ويقول: «قدم على أمرىء القيس بن حجر بعد مقتل أبيه، رجال من قبائل بنى أسد كهول وشبان، فيهم المهاجر بن خداش ابن عم عبيد الأبرص، وقبيصة بن نعيم، وكان في بنى أسد مقيناً، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور، ورداً وإصداراً، يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناf بلده من العرب. فلما علم بمكانتهم أمر بإذن لهم وتقدموا بإكرامهم والإفضل عليهم، واحد منهم ثلاثة، فسألوا من حضرهم من رجال كندة فقال: هو في شغل بإخراج ما في خزائن حجر من السلاح والعدة فقالوا: اللهم غفرا، إنما قدمنا في أمر ننسى به ذكر ما سلف، ونستدرك به، فليلغ ذلك عنا، فخرج إليهم في قباء وخفّ وعمامة سوداء، وكانت العرب لا تعتم بالسود إلا في الترات، فلما نظروا إليه قاموا له. وتكلم خطيبهم في أمر الصلح، فرفض امرأ القيس، فخيروه عندئذ بين ثلاث يختار إحداها: إما أن يختار واحداً من أشرف بيوت بنى أسد فيقتله في

أبيه، وإنما أن يقبل الفداء من بني أسد التي هي في ألف تجاوز الحسبة، وإنما أن يتفق معهم على هدنة حتى تضع الحوامل، وتهياً الجيوش والأسلحة للقتال، فرفض امرؤ القيس الأولين لأنَّه لا كفء لحجر في دم، وأنَّه لن يعتاض به ناقة أو جملًا، فيكتسب بذلك سُبْة الأبد وفت العضد وقبل الثالثة قائلًا: وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنحة في بطون أمهاهَا ولن أكون لعطيها سبباً، وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل في القلوب حنقًا، وفرق الأسنة علقةً.

إذا جالت الخبر في مأزقٍ
تصافح فيه المنابع النفوسا

وتقول الرواية: إنهم في النهاية نهضوا عنه، وقبضة يقول ممثلاً:

لعلك ان تستوخرم الورد إن غدت
كتائبنا في مأزق الموت تمطرًا

فقال امرؤ القيس: «لا والله لا أستوخرمه، فرويداً ينكشف لك دجاجها عن فرسان كندة وكتائب حمير».

ويذكر ابن الأباري «أن امرأ القيس خرج إلى اليمن، ثم أقبل بجموع من اليمن وربيعة يريد بني أسد، فأغار عليهم، وقتل في

بطون بنى أسد مقتلة عظيمة وأنه قال في ذلك قصيده التي منها^(١):

قد قرت العينان من مالك
طُرَّاً ومن عمرو ومن كاهم^(٢)
ومن بنى غنم بن ددان إذ
يُقذف أعلامهم على السافل^(٣)
حتى تركناهم لدى معرك .
أرجلهم كالخشب الشائل^(٤)

وبينما كان امرؤ القيس يعد العدة لمحاربة بنى أسد، وجد نفسه في مواجهة خطر آخر بدأ يتحرك ضده، ذلك هو المنذر ملك الحيرة، عدو كندة اللدود، الذي كان الحارث الكندي قد احتل مكانه، وتربع على عرش الحيرة، وطرده من الملك لفترة من الزمن.

وهذا التحرك من قبل المنذر ملك الحيرة أثر سلباً على تحركات امرئ القيس. إذ أن القبائل التي كانت تفكرا بمساعدته

(١) الديوان ص ١٤٣ .

(٢) بنو مالك وبنو عمرو وبنو كاهم: من بطون بنى أسد، من اشتراكوا في قتل حجر الملك .

(٣) وبنو غنم بن ددان: كذلك من بنى أسد .

(٤) الشائل: الخشب المرتفع، ويعني بقوله أنه تركهم صرعى في المعركة حتى كان أرجلهم الخشب المرتفع .

قد أحجمت حينما رأت أن المعركة تعدت أطرها المفروضة ضد بني اسد - وأخذت أبعاداً واتجاهات لم يحسب لها أمرؤ القيس حساباً. فكان لهذا العمل أثر خطير في نفوس القبائل التي كانت تمد يد المساعدة والعون لامرئ القيس، وكذلك على نفسية الشاعر نفسه، مما زعزع موقفه، وأضعف من شأنه.

ووجه في التنقل بين القبائل طالباً النجدة والعون والمساعدة، حتى وصل إلى السموأل، وأقام عنده فترة من الزمن. ثم طلب منه أن يكتب للحارث بن أبي شمر الغساني بالشام، ليوصله إلى قيصر الروم. ونزل السموأل عند رغبة الملك الضليل، الذي يحاول بكل جهوده أن يدرك ضالته المنشودة وهي الانتقام من بني اسد، حتى لو أدى ذلك إلى التعامل مع دولة أجنبية تريد الإيقاع بالعرب، وتأمل أن يقعوا في صراعات وخلافات حتى تأمن حدودها.

وحصل ما أراده امرؤ القيس من السموأل، ومضى في طريقه حتى انتهى إلى قيصر.

وبينما هو في طريقه في مشواره الصعب والطويل إلى بلاد الروم اعتلت صحته، وهاجمه المرض، وهذا ما أشار إليه في شعره، وكان معه وقتذاك - جابر بن حني التغلبي^(١) :

(١) الديوان - ص ١٦٣ .

فإما ترليني في رحالة جابر
على حرج كالقر تخفق أكفاني^(١)
فيما رب مكروب كررت وراءه
وعانِ فككت الغل منه ففدااني^(٢)

وبناءً على أمره طرقه إلى قيس الروم برفقة «عمرو بن قميثة» أحد بنى قيس بن ثعلبة، وكان من خدم أبيه، فبكى ابن قميثة، وقال له غررت بنا. فأنشأ أمره قيس يقول:

بکی صاحبی لما رأى الدَّرْبَ دُونَهُ
وأيقن أَنَّا لاحقان بقيصر^(٣)

(١) الرحالة: يربد بها المحفظة التي صنعتها له جابر بن حني التغلبي حين أصابه المرض وكان جابر هذا وعمرو بن قميثة يحملانه فيها. الحرج: سرير كالمنعش والقر: مركب للنساء. تخفق: تضطرب. أكفاني: يربد بها ثيابه التي قدر أن يدفن بها.

(٢) المكروب: يرمي به هنا من أحاط به الكلب وهو في ساحة الحرب. كرت ورائه: رجمت إليه ووقعت عنه حتى أقتذته. وعان: أسيء. فنكت: نزعت. الغل: الجل الذي في عنقه. فداني: فدال لي: فدال أبى وأمي.

(٣) لما قصد امرؤ القيس أرض الروم مستنجداً القيس علىبنيأسد ورد ملك أبيه
إليه صحب معه عمرو بن قبيطة، وكان من أقدم شعراء بكر ومن أقواهم
عارضة، وشعره جيد حسن، قال وهو مع امرئ القيس، وقد بكت ابنته فبكى
لها: **لكانها**

سألهنني بنت عمرو عن الأر
ضين فإذا تذكر أعلامها

فقلتْ لَهُ لَا تبِكْ عَيْنُكَ إنما
 نحاول مُلْكًا أو نموت فمعذراً^(١)
 وإنِي زعيمٌ إن رجفتْ مُلْكًا
 بسَيرِ تَرَى منه الغرائق أزوراً^(٢)
 على لاحب لا يُهتدى بمناره
 إذا سافه العود الباطي جرجرًا^(٣)

وتوارد الروايات أن امرأ القيس لما بلغ بلاد الروم انتهى إلى
 قصر فرحب به «وقبله، وأكرمه، وكانت له عنده منزلة» وأصبح مقرباً
 منه إلى درجة الخاصة من ندائه، ومواصلاً لابنته، «فاندس
 رجل من بني أسد يقال له - الطمّاح - وكان امرأ القيس قد قتل أخاً

لما رأت ساتيد ما استعبرت
 =
 الله در البو من لامها
 نذكرت أرضاً بها أهلها
 أخوالها فيها وأعمامها

فقال امرأ القيس: «بكى صاحبي . . . ، ومات عمرو في هذه الرحلة
 فقبل له: عمرو الصانع. والدربي: المدخل إلى أرض الروم .
 (١) يقول: نحن نطلب الملك فإن بلغنا أربنا منه ولا الحعننا في الطلب حتى
 نموت دونه، وفي هذا أشرف العذر لنا .

(٢) زعيم: كفيل. إن رجعت مملكاً: إن عاد لي ملكي بعد هذه الرحلة. الغرائق:
 الأسد. أزور: مائل العنق .

(٣) اللاحب: الطريق الواضح. لا يهتدى بمناره: ليس له إشارة تهديه في سيره.
 سافه: شمه. العود الباطي: الجمل المسن الصخم. جرجر: رغاؤضج .

له من بني أسد. حتى أتى بلاد الروم مستخفياً. ثم إن قيصر فرم إلية جيشاً كثيفاً. ومنهم جماعة من أبناء الملوك. فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه: إن العرب قومٌ غدر ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوكم بمن بعثت معه».

وأوقع الحساد بين الشاعر والملك، وما قيل له: «إنَّ امرأ القيس غُويَّ عاهر، وإنَّه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنته ويواصلها وهو قائل في ذلك أشعاراً يُشهرها بها في العرب، فيفضحها ويفضحك».

فكسر القيصر عندئذ بالأمر، وأرسل للشاعر «بحلة وَشِي مسمومة منسوجة بالذهب»، وقال له: «إنِّي أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكريمة لك، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمين والبركة، واكتب إلى بخبرك من متزل إلى متزل». ولما وصلت إليه لبسها، فأسرع السم في جسمه، ودخل مسام جلدته، وأيقن أن الموت آت، والهلاك قريب. فقال في ذلك^(٤).

تأوبني دائني القديم فغلسا
أحاذر أن يُرْتَدَ دائني فأنكسا^(١)

(٤) الديوان - ص ٨٦ - ٨٧.

(١) عند بعض الرواة أن هذا البيت هو أول القصيدة. تأوبني: أنا في مع الليل في وقت الغلس. أحاذر: أخاف من نكس الداء ومعاودته.

فِلَمَا تَرَيْنِي لَا أَغْمُضُ سَاعَةً
 مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أَكْبَ فَأَنْعَسَا^(١)
 فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً
 وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَساقطُ أَنْفَسَا^(٢)
 وَبُدَّلَتْ قَرْحًا دَامِيًّا بَعْدَ صَحَّةٍ
 فِي الَّكَ مِنْ نُعْمَى تَحُولُنَّ أَبْؤُسَا^(٣)
 لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَاحُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ
 لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلْبِسَا^(٤)

واحتضر في بلاد الروم بيلد اسمها - أنقرة - فقال قبيل وفاته :

رَبُّ خَطْبَةِ مَسْحَنْفَرَةٍ
 وَطَعْنَةِ مَثْعَنْجَرَةٍ^(٥)

(١) أَكْبَ: يَأْخُذُنِي شَبَهُ نَوْمٍ فَيُحْنِي رَأْسِي فَأَنْعَسُ.

(٢) فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ: يَرِيدُ نَفْسَهُ تَمُوتُ جَمِيعَةً: يَعْنِي مَرَةً وَاحِدَةً.

(٣) وَبَدَلَتْ قَرْحًا: يَزْعُمُ الرَّوَاةُ أَنَّ مُلْكَ الرُّومَ أَهْدَى إِلَيْهِ حَلَةً مَسْمُوَةً، فَلَمَّا لَبَسَهَا سَرَى السَّمُّ فِي جَسْمِهِ فَفَرَّحَهُ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أُصِيبَ بِعَرْضٍ يُشَبِّهُ الْجَدْرِيِّ، فَصَنَعَ بِهِ مَا صَنَعَ. وَقَدْ أَصَابَهُ الْمَرْضُ بِطَرْيَقِ الْعَدُوِّيِّ مِنْ الطَّمَاحِ الَّذِي كَانَ قَدْ أُصِيبَ بِهِ.

(٤) الطَّمَاحُ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسْدٍ بَعْثَتْ قَوْمَهُ إِلَى قِصْرِ مُلْكِ الرُّومِ فِي أَثْرِ اْمْرَىءِ الْقِيسِ لِيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَصْلِهِ بِطَرْيَقِ الْمَكْرِ وَالْخَدَاعِ وَالْمَخَالَةِ، وَوُوشِيَّ بِهِ عَنْدَ الْقِبْرِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ مَكْرَبٌ هَنْسَمٌ.

(٥) الْمَسْحَنْفَرَةُ: فِيهَا انْطَلَاقٌ وَسُعَةٌ. الْمَثْعَنْجَرَةُ الَّتِي يَتَصَبَّبُ مِنْهَا الدَّمُ وَيَسِيلُ.

وَجْهَنَّمُ مَتْحِبَرَةٌ حَلَّتْ بِأَرْضِ أَنْقَرَةٍ^(١)

ويقال إنه رأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدفعت في سفح جبل يقال له - عسيب - فسأل عنها، فأخبر بقصتها، فقال^(٢):

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْخَطُوبَ تَنُوبُ
وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ^(٣)
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانَ هَمُّنَا
وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلقرِيبِ نَسِيبُ^(٤)
فَإِنَّ تَصْلِينَا فَالقرَابَةُ بَيْنَنَا
وَإِنْ تَضْرِمِنَا فَالقرِيبُ غَرِيبُ^(٥)
أَجَارَتْنَا مَا فَاتَ لَيْسَ بِيُؤْبُ
وَمَا هُوَ آتٌ فِي السَّرْزَمَانِ قَرِيبُ^(٦)

(١) المحبيرة: المملوكة طعاماً ودمماً.

(٢) راجع شرح المعلقات العشر - دار مكتبة الهلال - بيروت - قدم لموشريخه د. مفید قمیحة - ص ٤٩ - ط ١ - ١٩٨٧.

(٣) عسيب: اسم جبل قريب من أنقرة.

(٤) يعني أن الغريب نسب الغريب، لأن الغربة تجمع بينهما كما يجمع النسب بين المتباعدین في القرابة.

(٥) روى ابن دريد في شرح هذا البيت هكذا:

فَإِنَّ تَصْلِينِي فَالْمُودَةُ بَيْنَنَا
وَإِنْ تَبْعَدِنِي فَالْمَزَارُ عَصِيبٌ

(٦) ليس ب يؤذب: لن يعود.

وليس غريباً من تناهُت دياره
ولكنَّ مَنْ وارى الترابُ غريبٌ^(١)
وكانَت وفاته سنة ٥٦٥ م على الأرجح .

(١) تناهُت : تباعدت ، ولكنَّ من يموت ويُدفن تحت التراب هو الغريب .

السيرة الأدبية

ديوانه ورأء النقاد والدارسين فيه

نال ديوان امرىء القيس القسط الوافر، والاهتمام الزائد من الروايات والجمع، والشروح، والنشر، والطبعات، فرواه كثير من الرواة، منهم: الأصمي، وأبو عبيدة، وأبو عمر الشيباني، والمفضل الضبي، ومحمد بن حبيب وصفه كثير، منهم: الأعلم الشتمري، والوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسى، وأبوسعيد السكري، وابن النحاس. وقد أحصى روایاته الدكتور ناصر الدين الأسد، فوجدها ست عشرة رواية. وكتب بحثاً مهماً عنها وعن أصولها، وعن النسخ المختلفة التي صنعت لهذا الديوان.

وقد نشرت معلقة امرىء القيس ضمن النشرات الكثيرة التي صدرت للمعلقات.

وكانت الطبعة الأولى لديوانه ما خلا المعلقة في باريس سنة ١٩٣٧. وطبع في مصر مع شرح البطليوسى سنة ١٨٦٥ م. ونشره في لندن المستشرق البريطاني - أهلوارد عام ١٨٧٠ م في

كتاب (العقد الثمين في دواوين الستة العجاليين) .

وفي سنة ١٨٩٠ ظهر الجزء الأول من كتاب «شعراء النصرانية» للأب لويس شيخو، الذي أثبت في أوله شعر امرئ القيس.

وأول من نشره مرتبًا على حروف المعجم الأستاذ حسن السنديبي بمصر سنة ١٩٣٠ .

وفي عام ١٩٥٨ م قام بنشره الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، الذي عني بتحقيق روایات شعره، حيث أنه استعان بكل نسخ الديوان المخطوطة وهي ست نسخ: للأعلم، والطوسى، والسكري، والبطليوسى، وابن النحاس، وأبى سهل. واعتبرت هذه الدراسة للأستاذ إبراهيم من أهم الدراسات العلمية لديوان امرئ القيس.

وقد احتوى هذا الديوان على مائة قصيدة ومقطوعة.

وهنا لا بد من سوق بعض الأدلة لنقاد سابقين لنرى أهمية ومكانة امرئ القيس، ومكانته بين أترابه العجاليين.

من الثابت أن امرئ القيس كان ميالاً بطبيعته إلى الشعر، فاحبه وقرأ منه الكثير، وكان راوية - أبي دؤاد الإيادي - ولما اكتمل نموه الأدبي فاختلط عواطفه بالشعر. ويبدو أنه أحسن من نفسه قوة في هذا الميدان فكان «شديد الظنة في شعره، كثير المنازعه لأهله، مدللاً فيه بنفسه، واثقاً بقدرته».

قال الأصمعي : « قال أبو عمرو بن العلاء : كان امرؤ القيس
يعنًا^(١) ضليلًا ينمازع كل من ادعى الشعر ».

وكان أبو عبيدة يقول : « افتتح الشعر بامرئ القيس ، وختم بابن هرمة » وقال الجمحى : « فارس اليمن في بنى زبير عمر وبن معد يكرب ، وشاعرها امرؤ القيس ».

وجاء على لسان ابن رشيق قوله : « والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم وسار شعرهم ، وكثير ذكرهم حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم ، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له ، وقل ما يجتمع على واحد ، إلا ما روی عن النبي ﷺ في امرئ القيس أنه أشعر الشعراء ، وفائدتهم إلى النار ، يعني شعراء الجاهلية والمشركين ».

وفضله الإمام علي رضي الله عنه بأن قال : « رأيته أحسنهم نادرة ، وأسيقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة ».

وجاء على لسان الأصمعي في - الموضع - : « طريق الشعر هو طريق الفحول مثل امرئ القيس ، وزهير ، والنابغة ».

أما ابن سلام فإنه يقول في - طبقات الشعراء - : « أخبرني أبيان بن عثمان البجلي ، قال : مرّ لبيد بالكوفة في بنى نهد ، فأتابعوه رسولًا يسأله : من أشعر الناس ؟ قال : الملك الضليل^(٢) ».

(١) المعنى : من يدخل فيما لا يعنيه .

(٢) الملك الضليل : يعني امرأ القيس .

وقال ابن سلام كذلك: «أخبرني شعيب بن صخر بن هارون بن ابراهيم قال: سمعت قائلًا يقول للفرزدق: من أشعر الناس يا أبو فراس؟»

قال: ذو القرود، يعني امرأ القيس».

وقيل لكثير: «من أشعر الناس؟» فقال: امرأ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا شرب».

وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن سلمة يسأله من أشعر الشعراء في الجاهلية، وأشعر شعراء وقته، فقال: «أشعر شعراء الجاهلية امروء القيس، وأضريهم مثلاً طرفة، وأما أشعر شعراء الوقت فالفرزدق أفحراهم، وجربير أهجاهم، والأنطلي أوصفهم».

وقال ابن سلام: «أخبرني يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر».

ويقول ابن رشيق: «قول امرئ القيس «ففا نبك من ذكرى حبيب ومتزل» هو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر، لأنه وقف واستوقف، ويكتوي واستبكي، وذكر الحبيب، والمنزل، في مصراع واحد».

هذا غيض من فيض مما وصلنا من آراء النقاد والباحثين القدامى في شعر امرئ القيس، الذي سنّ السنن، ووضع القوانين للقصيدة الجاهلية. إلا أن الدكتور طه حسين يرى أن أكثر

الشعر منسوب إلى أمرىء القيس وليس له أصل خاصة ذلك والذى يتصل بسيرته إنما هو من عمل القصاص . . . وأنه - أي الشعر - مختلف وليس لامرئ القيس أصلًا. أما الشعر الذى لا يفسر سيرته ولا يتصل بها، فيرى أن أحق هذا الشعر بالعناية تصييدتان اثنستان فقط :

الأولى : قفانبك من ذكرى حبيب ومتزل .

الثانية : ألا أنعم صباحاً أيها الطلل الباكى .

ويقول إن ما عدا هاتين القصيدين فيه الضعف ظاهر، والا ضطرب فيه بين ، والتكلف والإسفاف يكادان يلمسان باليد .

وواضح من هذا الكلام أن الدكتور طه حسين يحمل الرواية إهمالاً تاماً، ولا يأخذ برأيهم ولا بشهادتهم حتى ولو كان الرواوى معروفاً بالأمانة والصدق مثل الأصمى والمفضل .

وبعد هذا يبقى أمرؤ القيس علمًا من أعلام الشعر العربى، وذخراً هاماً من ذخائرنا الأدبية. وما العواصف النقدية الكثيرة التي أثيرت حول شعره إلا لأهمية الشاعر ذاته وأهمية شعره نفسه.

السيرة الشخصية

بعد هذا نستطيع أن نرصد ملامح مرحلتين مهمتين في حياة امرىء القيس . ولكل منها منطلقات واتجاهات تختلف عن الثانية وهذا الاختلاف بين المرحلتين أو- التجربتين - النفيتين حددتا مسار شعره ، وتطوره وأساليب القول عنده ، والمواضيعات التي فرضت عليه في بعض الأحيان ، أو التي جاءته نتيجة صدمة نفسية هزته في الصميم وحملته إلى تغيير مجرى حياته وسلوكه وعلاقاته . هذه الصدمة أعادت للشاعر الوعي الاجتماعي بالمسؤولية التي فقدها ، إثر بعده عن عشيرته مجرأ .

والمعروف تاريخياً أن امراً القيس ، نشا وترعرع وعاش بعيداً عن والده إذ أن أباه « كان قد طرده لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع ، وكان لها عاشقاً . وقيل إنه طرد لأنه تغزل بأمرأة من نساء أبيه » .

ويذكر الأصممي : « كان امرؤ القيس رأى من أبيه جفاء ، فلحق

بعده حتى قتل أبوه وعمه، فانصرف بعد قتلهم إلى قومه» فهذه الرواية تذكر أن السبب كان حدوث جفاء بينه وبين أبيه، ولكنها لم تذكر سبب هذا الجفاء.

وقد يكون مما يفسر لنا سبب هذا الجفاء ما يرويه أبو نصر أحمد بن حاتم إذ يقول: «أخبرنا الأصممي أنه قال: بينما امرأة القيس قاعدة ذات يوم، وهو يشرب مع أبيه وهو غلام حين احتلم، وأبوه يشرب مع ندامائه وفتية من أهل بيته إذ مرّ عليهم الساقى بالكأس، فقال امرأة القيس:

أَسْقِيَا حُجْرًا عَلَى عَلَّاتِهِ
مِنْ كُمِيتٍ لَوْنَهَا لَوْنَ الْعَلَّ

فسمعه أبوه، فقال للساقي: الطم وجهه، وأخرجه عني، وقال له: إياك أن أسمعك تقول شمراً فأقتلك! وكان حجر يرفع نفسه عن الشعر وولده، فغير امرأة القيس بذلك زماناً، فكان لا يقول الشعر إلا سراً مخافة من أبيه. قال: فبينما أبوه ذات يوم نائم في قبته وقد شرب حتى طابت نفسه، إذ انتبه وامرأة القيس يشرب من فضل آنية أبيه وهو يقول:

وَهِرْ تَصِيدُ قُلُوبَ الرِّجَالِ
وَأَفْلَتْ مِنْهَا أَبْنُ عَمِيرٍ وَحُجْرٍ

فوثب إليه أبوه، فجعل يجأ في عنقه حتى أدمى منخريه، ثم طرق يلطميه ويقول: ألم أنهك عن أن تقول شمراً، وعن أن

تذكرنى في شعرك، ثم دعا مولى له يقال ربوعة، وكان حاجبه، فقال له: انطلق بهذا إلى موضع كذا وكذا فاقته، فإني لا أظنه إلا سيشتمنا».

والملاحظ أن امرأ القيس في هذه الفترة كان ميالاً إلى اللهو والمتنة، مغرماً بشهواته الخاصة ولذاته، فاستغرق في المجنون، ولم يهتم بعظام الأمور وجلائل الأعمال، وربما لمس أبوه ذلك فيه، فلم يعجبه سلوكه، ولم يكن راضياً عن أعماله وأخلاقه، فحدثت بينهما تلك الجفوة التي تتحدث عنها الأخبار والروايات.

أما المرحلة الثانية من حياته فإننا نستطيع أن نؤرخ لها ابتداء من موت أبيه حين قال: «ضيعني صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لا صخر اليوم، ولا سكر غداً، اليوم خمر، وغداً أمر».

والملاحظ أن امرأ القيس لم يعبأ بخبر موت أبيه، حتى انتهى من لعبه وشربه، وأنه في تلك اللحظة قد أنهى بما يشبه اللائمة على أبيه؛ إذ ضيعه صغيراً، وأهمل رعايته وتربيته، ثم ألقى بالعبء عليه دون أن يستعد ويتها له. وتبرز الحمية العربية في نفسه، فيقسم على ترك اللهو والمتنة، حتى يقتصر لأبيه، ويأخذ بثأره من قتله من بنى أسد.

وحيينما نظر إلى حياة امرئ القيس، نجد أن الفترة الأولى من حياته تمثل حياة الشباب وما فيها من ترف الملوك، وفراغ ولهو، وعدم مسؤولية؛ إنه يعيش حياة منطلقة، لا مشاكل ولا هموم لديه،

ولا واجب يتحتم عليه أن يؤديه . فكانت هذه الفترة لنفسه وذاته وغرايشه لعب ولهو ومرح وعيث ، وجري وراء المتع واللذات ، يضرب في الأرض على غير هدى ، وينزل في الأرض لغير هدف . إلا أن يُرضي نزوات الشباب ويملا فراغه بكل ما يستطيع من ألوان المتعة واللهو ، ولو إلى حد الخلاعة والمجون ، في هذا الجو العابق بالنشوة واللهو كان أمرؤ القيس كثير التنقل بين المنازل والديار ، مصوراً مغامراته مع النساء والعشيقات ، ومع الظباء والغزلان .

أما القسم الثاني من حياته فإنه يصور تنقله بين مختلف الأحياء والقبائل والأوطان ، والأمراء والملوك ، لا للهو والمتعة كما كان في الفترة الأولى من حياته . ولكن رغبة في تحقيق آمال عريضة ، وهي الأخذ بالثار واسترجاع ملكه .

إنه يمثل في هذا الموقع الإنسان المسؤول ، الطامح إلى المجد والسؤدد ، إلى العلاء والرفعة . وهنا تتجلى له الحياة بكل حقائقها ، وتكشف له عن وجه جديد ، فيه الكثير من أحوال النفس البشرية ، المليئة بالمتناقضات ، وهذا ما يتجلى في شعره في هذه الفترة حيث الرضا والسخط والحسنة والآلم ، فهذا الشعر خليط من المدح والذم ، والتهديد ومحاولة التعالي على الجراح ، مع ذكريات الماضي ، وواقع الحاضر ، وخبرة المجرب . وبقي شاعرنا على هذه الحال حتى قرّح القيصر جسده وأغمض عينيه ومات عام ٥٦٥ م .

أغراضه الشعرية

جاءت قصائد امرئ القيس، صورة صادقة عن بيته وواقعه، ومراحل حياته، التي رأينا في بدايتها اللهو والمجون، وفي نهايتها الجد والعمل، وتعددت الموضوعات الشعرية عنده من غزل ومديح، وهجاء، وتصوير للطبيعة، وللذات الإنسانية. حتى أنها نفع على موضوعات شتى في القصيدة الواحدة: وهذه صفة من صفات الشعر الجاهلي، الذي رسم خطوطه، ووضع قوانينه امرؤ القيس حسب رأي النقاد والباحثين.

١ - الغزل^(*):

وقد استعمل الباحثون والدارسون في مثل هذا الموضع «الغزل والنسيب أو التشبيب». وحاول بعض النقاد أن يفرقوا بين هذه الأصطلاحات، فمثلاً يقول قدامة بن جعفر عن الغزل: «هو

(*) الغزل، أو النسيب، أو التشبيب: هي مترادات تدل كل منها على ما تدل عليه الأخرى. فهي تطلق على كل حديث يتصل بجمال المرأة ويشير ذكرياتها.

التصابي والاستهانة بمودات النساء، ويقال في الإنسان إنه غزل إذ كان متشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء، وتتجانس موافقتهن لحاجته بالوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه».

ويقول عن النسب: «هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصباية وتطايرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وقد يدخل في النسب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة، والبروق اللامعة، والحمائم الهائفة، والخيالات الطائفية، وأثار الديار الباقية، وأشخاص الأطلال الدائرة».

والحقيقة أن هذه المترادفات تطلق على كل ما يتصل بالمرأة وجمالها، ويشير ذكرياتها وأيامها. وقد تحدث شاعرنا عن هذا في مواضع كثيرة، وصور مفاتن النساء، وأسرار جمالهن، وتحدث كذلك عن غرامه بالكثيرات وغموماته معهن.

ويبدو أن أمراً القيس كان يستهويه الجمال، ويملك عليه قلبه وأحساسه، أينما كان، وأنى حلّ. فاعجب بكل جميلة، وثار قلبه لكل مليحة، وهام بكل امرأة صبور. فكانت حبيباته كثيرات منه: أم الحويرث، وأم الرباب، وعنزة، وفاطمة، وسلمي، وسليمى، وبسباسة، وأم جنبد، وأسماء وابنة عفرز، وهر، وسلامة، وقدور، ورقاش، وسعاد، وهند، والرباب، وفترتي،

* ولميس

(*) وردت أسماء حبيباته تلك في قصائده المثبتة في ديوانه.

ويظهر هذا أن أمراً القيس قد أنسد في المرأة الشعر الجميل، حتى احتلت عنده المكان الظاهر، وقلما تخلو قصيدة من ذكرها.

مَهْفَهَةُ بِيضاءِ غَيْرِ مَفَاضَةٍ
تَرَائِبُهَا مَضْقُولَةُ كَالسَّجْنَجَلِ^(١)
تَصْدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَنْتَقِي
بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجْرَةٍ مَطْفَلِ^(٢)
وَجِيدٌ كَجِيدِ الرَّئَمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ
إِذَا هِيَ نَصْنَهُ وَلَا بِمَعْتَلِ^(٣)
كَبِيرٌ مَقَانِأَ الْبَيَاضِ بِصُفَرَةٍ
غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمَحْلَلِ^(٤)

(١) مَهْفَهَة: خفيف اللحم ليست برهنة ولا ضخمة البطن. المفاضة: المترخية. البطن. الترائب: موضع القلادة من الصدر. مضقوله: مجلوة. كالسنججل: كالمرأة النسافية.

(٢) تصد: تعرض. وتبدى عن خد أسيل: ليس بكز. وجرة: موضع . مطفل: ذات أطفال.

(٣) العجيد: العنق. الرئم: النطي الأبيض الحالص البياض. ليس بفاحش: غير كريهة المنظر. نصته: رفضته. المعطل: الذي لا حل على عليه.

(٤) كبر: كبيرة النعامة أول ما تبكي. المقاناة: التي خالط بياضها حمرة وصفرة. الماء النمير: الصافي. غير المحلل: الذي لم تدركه السائلة في نزولها عليه.

وَفِرْعَوْنُ يَزِينُ الْمَتَنَ أَسْوَدَ فَاحِمْ
 أَثِيثٌ كَقْنُو النَّخْلَةُ الْمُتَعْكَلُ^(١)
 غَدَائِرُ مُسْتَشْرَرَاتُ إِلَى الْعَلَا
 تَضَلُّ الْمَدَارِي فِي مَثْنَى وَمُرْسَلٍ^(٢)
 وَكَفْحٌ لَطِيفٌ كَالْجَدِيلِ مُخَصَّرٌ
 وَسَاقٌ كَأَبْنَابِ السَّقِيِّ الْمَذَلَّلُ^(٣)
 وَتَغْطُو بِرَخْصٍ غَبْرَ شَثْنٍ كَأَنَّهُ
 أَسَارِيعُ ظَبَّيٍّ أَوْ مَسَاوِيْكُ أَسْحَلٍ^(٤)
 تُضِيءُ الظَّلَامُ بِالْعَشَاءِ كَأَنَّهَا
 مَنَارَةٌ مُمْسَى رَاهِيْبٌ مُتَبَّلٌ^(٥)

(١) المفرع: الشعر الناتم. المتن: ما عن بين الصلب وشماله من العصب واللحم.
 الفاحم: الشديد السود. الأثيث: الكثير. المتعكّل: الذي دخل بعضه في بعض لكترته.

(٢) الغدائير: الذوانب. مستشررات: مجدولات، مرتفعات. المداري: جمع مدرى، وهي مثل شوكة يدخل بها شعر المرأة ويصلع، أو هو المشط. مثني ومرسل: أي بعضه مثني متجمد وبعضه مسترسل غير متجمد.

(٣) الكشع اللطيف: الخصر التحليل الحسن. الجدييل: زمام يتخذ من السبور فيجدل، فيجيء حسناً علينا. أبوب السقي المذلل: ساق كاسق البردي وهو ثبات يقوم على سوق في مناقع الماء ويعرف كثيراً بمصر. المذلل: الحروث.

(٤) تعطوا بربخصن: تتناول بيتان لطيف. أساريع ظبي: كأنه دود صغار بما يرى في الكثيب المسمى بظبي. الأسحل: شجر يتناك به.

(٥) المنارة: يزيد بها سراج الراهب الذي يستضيء به في وحدته وانقطاعه لعبادة ربها.

وتضحي فتبت المسك فوق فراشها
 نشمُ الضحالم تنتطق عن تفضُّل^(١)
 إلى مثلها يرنسو الحليم صباية
 إذا ما اسبركت بين درع ومجول^(٢)

إنها فتاة جميلة، رائعة، مشوقة القد، رشيقه القوم، في
 ريعان الشباب وميوعة الصبا. بشرتها بيضاء، صافية، حسنة، كلها
 أنوثة ونضاره وشباب وتوثب. قد خلقت ونشأت في نعمة من
 العيش والترف. صدرها يشع بالنور والبهجة والأنوثة والجمال.
 عيونها حوراء جميلة، ترسل منها بريقاً كأنه السهام. وجيدها
 رائع بهيئه، ليس بالقصير ولا بالطويل ويفدو جمالها حينما تحيط
 ذلك الجيد بأحسن الحل، وأثمن الجواهر. شعرها ليل داج،
 شديد السوداد، طويل يغطي ظهرها، تبدو فيه العناية والرعاية، وهو
 أشكال مختلفة منه ما هو مرسلاً، ومنه ما هو معقود، يتداخل بعضه
 ويتشابك ولكن في إتقان وإبداع.

وخرصها نحيل، قوي متماسك، لين، لطيف. وساقها أبيض

(١) تضحي: تتنه من نومها في ضحوة النهار. فتبت المسك: مافتنت منه. لم تنتطق: لم تشد نطاقاً للعمل، يعني أنها مرهفة منصحة مدللة. عن تفضُّل: عن ثوب النوم.

(٢) يرنسون: يديم النظر مع سكون الطرف. الصباية: الشوق الرقيق. اسبركت: تمت وكملت. بين درع ومجول: أي أنها بين الكبيرة التي تلبس الدرع وبين الصغيرة التي تلبس المجول. يعني أنها شابة غيادة.

ممتليء غضن . وجسمها حسن جميل البهاء . إنها تعيش في نعيم ورفاهية . تنام حتى الضحى على فراش مضمخ بالمسك والعطور . ولها من الخدم ما يكفيها . وإذا ما ارتدت ثيابها زادتها فتنة وجمالاً ، وأضفت عليها بهاء ودلالة ؛ حتى لتهذب بعقل العاقل الرزين .

وتبرز في صورة ثانية^(٤) :

بضيء الفراش وجهها لضجيئها
كمصباح زيت في قناديل ذئبال^(١)
كأن على لباتها مضطل
أصابت غضن جزاً وكف بأجذال^(٢)
وهبت له ريح بمختلف الصُّورِ
صباً وشمالاً في منازل قفال^(٣)

يصف ويغزل هنا بالوجه والعنق وأعلى الصدر ، ذلك الجزء من الجسد الذي يقع عليه نظر الرائي في العادة فيبدو - ولو كانت نائمة - كأنه يبدد الظلام بنوره ، ويغمر المكان بالبهجة والسرور ،

(٤) الديوان - ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(١) الذئبال: الصانعون فنائل المصايب .

(٢) اللبات: موضع القلادة وهي جمع لبة . مصطلح: مستدفيء . الغضن: شجر سريح الالتهاب في صفاء وجمره أبقى جمر . الأجدال: أصول الشجر .

(٣) الصوى: العلامات تنصب في الطريق لهدایة السابلة . قفال: عائدون من السفر .

وهي تزين صدرها وعنقها بحلى تتلا لا وكأنها النجوم المشعة من شدة البريق واللمعان، فتبعد كجمرات تتوهج وتشع بأنوار لا مثيل لها، تبعث في الحياة الدفء وفي الأرجاء الاستقرار والمحبة.

ويبرز الغزل عنده في هذه اللوحة أيضاً^(٥):

بأسود مُلتفٌ الغدائر وارِ
وذي أشر تَشوفه وتَشُوش^(١)
منابِّه مثل السدوس ولونه
كشوك السِّيالٍ فهو عذبٌ يُفيصُ^(٢)

إن اللوحة الشعرية هذه نراها واضحة، وكأنها تنطق بالجمال أو تكاد. فشعر أسود منظم ومنسق، لامع، مشع بغمائة الطويلة الملفقة في منظر جميل. وفم حلو، عذب، قد بانت فيه الأسنان الرقيقة متراصة في نظام بديع، قد انشقت عن لثة ناضرة جذابة.

(٥) الديوان - ص ٩١.

(١) بأسود: بشر أسود. فاحم الغدائر: حصل الشعر الملفقة المدللة. الوارد: الشعر الطويل المسترسل. وذى أشر: محدد الأسنان في رقة. تَشوفه: تجلوه. تَشُوش: تحافظ على نظافته بالمسواك.

(٢) منابه: يقصد اللثة. السدوس: الطيلسان. السِّيال: شجر، ويقال إنه نبت له شوك أبيض أشبه شيء بالأسنان، ومفرده سِياله. فهو عذب: يعني ماء الثغر. يُفيص: يبرق، أو انه يسفل على الأرض.

ويلقى مزيداً من الضوء على الريق في هذا المقطع،
فيقول^(١):

إذا ذقت فاما قلت طعم مدامية
معنفة مماثجيه به التجير^(٢)
كان التجار أصعدوا بسيئة
من الشخص حتى أنزلوها على يسر^(٣)
فلما استطابوا صب في الصحن نصفه
وشجت بماء غير طرق ولا كدر^(٤)
بماء سحاب زل عن متن صخرة
إلى بطن أخرى طيب مأوه خصر^(٥)

(١) الديوان - ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) إذا ذقت فاما: إذا قبلتها في فيها. مدامية: خمرة معنفة قديمة. التجير: بريد تاجر
الخمرة.

(٣) التجار: جمع تاجر. أصعدوا: ساروا. السيئة: الخمر تباع بالمال. الشخص:
حانوت الخمار. يسر: مقامرون وأغنياء. والمعنى أنه شبه ماء العقم بالخمر،
ووصف الخمر بأكمل صفاتها ليرجع ذلك إلى المشبه وهو الريق.

(٤) استطابوا: وجدوا طيبة. الصحن: القدح الكبير. وشجت: مزجت بالماء.
الطرق: هو الذي يالت فيه الإبل. ولا كدر: ولبسه به كدرة. ولا عكر: فهو
يختارون الماء صافياً نقباً.

(٥) بماء سحاب: أي أن الماء الذي مزجوا به الخمر من ماء السحاب. زل على
متن صخرة: انحدر من صخرة متسلباً إلى بطن صخرة أخرى لم يمس التراب
ولم يلوث به. خصر: بارد.

فريقيها في هذه اللوحة عذب حلو.. من ذاقه انتشى وسكر،
كأنما شرب من خمر معتقة، ذكية الرائحة، طيبة الطعم، ممزوجة
بماء بارد ليسهل شربها نتيجة قوتها، وشدة لعبها في رأس من
شرب منها.

يعنى امرأ القيس في هذه اللوحات الجميلة بإبراز جمال المرأة
وتبيان مفاتنها الجسمية، وحياتها التي لا يراها إلا أن تكون حياة
ترف ورفاهية، ودلال وكمال. والمرأة عنده فتاة في ريعان الصبا،
نصرة الشباب، فيها كل ما يثير الدهشة والعجب، من وجه
صبور، إلى جسم مكتمل وشعر أسود، وخد أسلن ناضر، وجيد
واسيم، وخصر هضيم، وبنان لين أبيض طويل. وحياتها ترف
ونعيم.

بعد هذا لا يُدْنِي من رؤية حياة اللهو والعبث والمغامرات التي كان
يقوم بها امرأ القيس. وربما تكون معظم تلك المغامرات من بنات
أحلامه، ومن قبيل الأوهام، نسجها خيال شاعر عاش حياة الترف
واللهو. ومن الممكن جداً أن نلمس ذلك بسهولة في معظم
قصائده التي تعرض أهمها فيما يلي.

١ - يوم دارة جلجل :

تروي الأخبار أن الفرزدق حدث عن جده: «أن امرأ القيس كان
عاشقًا لابنة عم له يقال لها عنizة، وأنه طلبها فلم يصل إليها،
وأراد أن يتزوجها فلم يُقْضَ له، حتى إذا كان يوم الغدير - وهو يوم

دارة جلجل - احتمل الحي متقدمين، وخلفوا النساء والخدم والعُسَفَاء^(١). فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف عن رجال قومه، فكمن في غيابة من الأرض، حتى مرت به فتيات، فيهن عنيزه. فلما وردن الغدير نَحِينَ العبيد، وتجردن، ودخلن الغدير، فخاتلن امرؤ القيس، فأخذ ثيابهن فحملها، وأقسم الآية بعطي جارية منهن ثوبها حتى تخرج كما هي، فتأخذ ثوبها، فأبین ذلك حتى تعالى النهار، وخشنن أن يقصُّن عن المنزل الذي يرده، فخرجت إحداهن فوضع لها ثوبها فأخذته، وتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزه. فناشده أن يطرح لها ثوبها، فأبى عليها، فخرجت، فنظر إليها مقبلة مدبرة، فأخذت ثوبها فلبسته. فأقبلن عليه فقلن: عذبتنا وجوعتنا! فقال: إن نحرت لكن راحلتني أناكلن منها قلن: نعم. فعرقبها ونحرها، وأجع الحدم ناراً، فجعل يقطع لهن اللحم فيرمي على الجمر، ويسبقهن من زكرة^(٢) كانت معه، ويغبنهن حتى شبعن وطربن. فقالت إحداهن: أنا أحمل طفسته، وقالت أخرى: أنا أحمل ذكرته، وقالت أخرى: أنا أحمل حشتي وأساعه، وبقيت عنيزه لم يحملنها شيئاً، فقال لها: يا بنت الكرام، ليس لك بد من أن تحمليني معك، فإني لا أطيق المشي، فحملته على غارب بعيتها، فكان يجنب إليها فيدخل رأسه في خدرها، ويقبلها، فإذا امتنعت أمال خدرها،

(١) العُسَفَاء: جمع عَسْفَاء، وهو الأجير.

(٢) الزكرة: زق صغير يجعل فيه الشراب.

فتقول: يا امراً القيس، عقرت بعيري، فائزل. فسار معهن حتى
إذا كان قريباً من الحي نزل. فأقام حتى جئَ عليه الليل ثم أتى
أمهل ليلًا. » ويدرك تلك الحادثة في هذه الآيات^(١):

الا رُبْ يوْمٍ لِكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ
وَلَا سِيْمَا يوْمٍ بِدَارَةِ جُنْجُلٍ^(٢)
وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارِيَ مَطْيُّتِي
فِيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلَهَا الْمَتَحْمُلِ^(٣)
فَظَلَّ الْعَذَارِيَ يَرْتَمِي بِلَحْمَهَا
وَشَحْمَ كَهْدَابِ الدُّمْقُسِ الْمَفْتُلِ^(٤)
وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخَنْزَرَ خَدْرَ عَنْيَزةَ
فَقَالَتْ لِكَ الْوَبِلَاتِ إِنَّكَ مُرْجَلِي^(٥)
تَفُولُ وَقَذْ مَالَ الغَبِيطُ بِنَا مَعًا
عَقَرْتُ بِعِيرِيْ يا امراً القيس فائزل^(٦)
فَقَلَتْ لَهَا سِيرِيْ وَأَرْخِيْ زَمَامَهُ
وَلَا تُبْعِدِنِيْ عَنْ جَنَاكَ الْمَعَلِلِ^(٧)

(١) الديوان - ص ١١٢.

(٢) الدارة: الدار. دارة جلجل: موضع يقال له الحمى.

(٣) يا عجباً: اعجبوا عجباً، او يا عجي. المتحمل: المحمول.

(٤) يرمين: يرمي بعضهن ببعضًا بلحمة وشحمة الآييف كأنه الحرير المفتل.

(٥) الخدر: الهودج. عنية: لقب صاحبته فاطمة. لك الوبلات: دعاء عليه. مرجللي: عاقر بعيري، وتاركي أمشي متراجلة غير راكبة.

(٦) الغبيط: الهودج. عقرت بعيري: أي أدبرت ظهره، يعني جرصته.

(٧) جناها: افتطاف حمرة خديها بالقبل، المعطل: الذي علل بالطيب مرة بعد مرة.

٢ - يوم الكثيب:
ويقول في هذا^{*}:

ويسوّما على ظهر الكثيب تعذّرت
عليّ، وألت حلفة لم تحلل^(١)
أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل
 وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملني^(٢)
 وإن كنت قد ساءتك مني خليقة
فسلي ثيابي من ثيابك تسلل^(٣)
أغرّك مني أن حبك قاتلي
 وأنك مهما تأمرني القلب يفعل^(٤)
وما ذرفت عيناك إلا لتضرّبي
بسهميك في أعشار قلب مقتل^(٥)

(٤) الديوان - ص ١١٣ - ١١٤.

(١) الكثيب: الرمل المجتمع في ارتفاع. تعذّرت: امتنعت.الت: حلفت. لم تحلل: لم تستثن في يمينها، أي جعلته حلفة فاطعاً.

(٢) مهلاً: قليلاً قليلاً. بعض هذا التدلل: كفي بعض تدلّك عنّي، وأقلّ منه. أزمعت: عزّمت ونوبت. صرمي: قطبيتي. أجملني: أحسّني.

(٣) خليقة: حلق، طبيعة. ثيابي: يريد بها قلبه. سلي: انزعى.

(٤) أغرّك: أحملك على الاغترار بي أن حبك قد برح بي حتى كاد يقتلني، والقلب: يريد به قلبه لأنّه لا سلطان له عليه، وإنما السلطان والنصر في لها هي.

(٥) ذرفت: دمعت. بسهميك: يريد بهما عينيها. أعشار القلب: أجزاءه. مقتل: مذلل بحبك.

في هذا الموقف يبدو راجياً متوسلاً، لأن الحببية تمنع عنه، وتقسم ألا تنساق معه في رغباته وأعماله، إلى أن نراه منهاه متوسلاً بأن تخفف عليه التدليل والاحجام. وكل ما يتمناه أن تحسن معاملته إن كانت قد قررت وعزمت على تركه وقطيعته، فتكون الفرقة، والقطيعة في رق ولطف لا بجهاء ومساكة. ويظهر الرجاء والترجي حينما يقول: إن كان في خلق لا يعجبك، فردي إلى قلبي الذي استوليت عليه. وبين لها أن حبه لها قد نال منه وكاد أن يقتله، وفؤاده قد أصبح طوع هواها، وأنها إن بكى وذرفت الدموع فإنها تؤلمه وتوجه سهام الموت إلى قلبه الولهان، المفتون بحبها وبجمالها.

٣ - بيضة خدر *:

وقال في هذا:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتَّعت من لهو بها غير معجل^(١)
تجاوزتُ أحراساً إليها وعشراً
عليٌّ جراصاً لو يسرُون مقتلي^(٢)

(١) الديوان - ص - ١١٥ - ١١٤.

(٢) بيضة خدر: ورب غادة مخدرة. لا يرام خباؤها: لا يستطيع الوصول إليها. غير معجل: غير خائف من أحد.

(٣) تجاوزت أحراساً: مررت بحراسها وأهلها الحريصين على قتلي لو بيتطعون ذلك.

إذا ما أثرينا في السماء تعرَّضتْ
 تعرَّضَ أثناء الوشاح المفضل^(١)
 فجئْتُ وقد نضَّتْ لنوم ثيابها
 لدى السُّرِّ إلَى لِيَسَةَ المتفضل^(٢)
 فقالتْ: يمينُ الله مالك حيلة
 وما إنْ أرى عنك الغواية تنجلِي^(٣)
 خرجتْ بها أمشي تجرُّ وراءنا
 على أثرِيَا ذيلَ مِرْطِ مُرَحْلِ^(٤)
 فلما أجزَّنا ساحةَ الحيِّ واتَّحَى
 بنا بطنُ حَقْبِ ذي رِكَامِ عَقْنَقْلِ^(٥)

(١) أثناء: جمع ثني، وثنى، وثنى. الوشاح: خرز يعمل من كل لون. الذي فعل بالزبرجد، أو يجعل بين كل خرزتين فيه لؤلؤة. وتعرَّضت الثريا: تصوَّرت للغريب فهي إذا كانت على وشك المغيب تتعرَّض، كما أن الوشاح إذا طرح تلقاك بناحيته.

(٢) نضَّتْ: خلعت، ونَزَعَتْ. اللِّبَسَةَ: هيئة اللباس. المتفضل: الذي يلبر الفضل، وهو الثوب الواحد الذي يلي الجسد. لدى السرِّ: عند السر.

(٣) حيلة: احتيال. مالك حيلة: أي ليس لك وجه مجيء إلينا. الغواية: مصدر غوى يغوي غياً وغواية، وهي الفضلال والفساد. تنجلِي: تكشف وتذهب.

(٤) خرجت بها أمشي: أي خرجت بها من البيوت لاخلو بها. المرط: إزار خرز. المرحل: الموسى.

(٥) أجزَّنا: قطعنا. الساحة: البناء. حَقْبٌ: رمل متعرج. رِكَامٌ: بعضه فوق بعض. عَقْنَقْلٌ: منعقد، متداخل.

حضرت بفُودي رأسها فتمايلت
 على هضيم الكشح ريا المخلخل^(١)
 إذا التفت نحوه تضُرع ريحها
 نسيم الصبا جاءت بريما القرنفل^(٢)

إنه في هذه اللوحة الفنية يظهر على عكس ما كان فيه في
 اللوحة السابقة فباتي بخيالات ربما لم تكن في الواقع . ويصور
 نفسه وكأنه قد استطاع الوصول إلى عقيلة من عقائل قوم يبالغون
 في رعايتها والمحافظة عليها . واستطاع بقدرته وذكائه الوصول
 بعدما تجاوز الحراس ، وبعدما تخطى الأهوال والصعاب من
 أجلها ، وصل إليها بعدما تخطى الليل ومضى منه وقت طويل ، إذ
 إنها كانت في ثياب النوم لا ترتدي إلا غلالة . ولما رأته تعجبت
 من حنكته واحتياله ونجاته من كل الأهوال والأخطار . وإنه
 لم يقف في صورته عند هذا الحد بل تجاوزه مبالغًا في صنع
 المعجزة التي نذر نفسه إليها ، وتمادي في عمله ، إذ أخذها معه
 بعيدًا عن مضارب العشيرة ، وهداها تفكيرها إلى إخفاء معالم
 أثرهما بجر ثيابها وراءهما . إلى أن وصلا إلى مكان بعيد أمن
 ومحصن . وهناك تضُرع طيبها وأريجها في شتى الأنهاء والأرجاء ،
 فهب النسيم من عمق ليل حالم عطرًا شذياً .

(١) مصرت: جذبت . بفودي رأسها: بجانبي رأسها . هضيم: ضامر . المخلخل:
موضع الخلخل .

(٢) تضُرع: فاح وانشر . النسيم: تحرك الريح بين ورقة . الريا: الرياحنة .

٤ - مع امرأة:

ويقول في هذا^(٤):

سُوتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلَهَا
سُمَّوْ حَبَابُ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ^(١)
فَقَالَتْ سَبَاكُ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضْحِي
أَلَستَ تَرَى السُّمَّارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي^(٢)
فَقُلْتَ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحْ قَاعِدًا
وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لِدِيكَ وَأَوْصَالِي^(٣)
حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجْرَرْ
لَنَامُوا، فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالْ^(٤)
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحْتُ
هَصْرَتْ بَغْصِنْ ذِي شَمَارِيخِ مَيَال^(٥)

(٤) الديوان: ص - ١٢٤ - ١٢٥.

(١) سوت إليها: نهضت وذهبت ووصلت إليها. حباب الماء: طرائفه. سو حباب الماء: يعني كنت في ذلك كحباب الماء وهو يعلو بعضه بعضاً في رفق ومهل. حالاً على حال: أي شيئاً بعد شيء، حتى صرت إلى الذي أردت.

(٢) سباك الله: باعدك الله وفضشك. وإنما قالت ذلك له خوفاً من الفضيحة.

(٣) أبْرَحْ قَاعِدًا: لا أبْرَحْ قَاعِدًا في مكانٍ. أَوْصَالِي: مفاصلٍ.

(٤) حَلْفَةً فَاجْرَرْ: يمين فاسق. لناموا: لقد ناموا. الصال: المستدفي بال النار.

(٥) أَسْمَحْتُ: لات وانقادت. هَصْرَتْ بَغْصِنْ ذِي شَمَارِيخِ مَيَال: أي أملتها إلى كما أُمِيلَ الغصنَ اللين.

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا
 ورُضتْ، فَذَلَّتْ، صَبَّةَ، أي إِذْلَالٍ^(١)
 فأصبحت معشوقاً وأصبح بعلها
 عليه القتام سيء الظن والبال^(٢)
 يَغْطِطُ غطيط البَكْرِ شَدْ وثاقه
 ليقتلني والمرء ليس بقاتل^(٣)
 أياقتلنـي والمشرفي مُضاجعـي
 ومسنونـة زرقـ كأنـبـابـ أغـوالـ^(٤)
 وليس بـذـي رـمـحـ فيـطـعـنـيـ بـهـ
 وليس بـذـي سـيفـ وليس بـبنـبـالـ^(٥)
 أياقتـلـنـيـ وقدـ شـفـفـتـ فـؤـادـهاـ
 كماـ شـفـفـ المـهـنـوـةـ الرـجـلـ الطـالـيـ^(٦)

(١) صرنا إلى الحسنى: أي إلى ما نحب من الأمور. رق كلامنا: كان بصوت منخفض كأنه همس لثلا يشعر بما أخذ، ورضت: ذلت الصعب منها. أسمحت: انقادت وسهلت بعد صعوبتها وامتناعها. ذي شماريخ: شعر يشبه شماريخ النخلة لغزارته وتداخله. ميال: لين، يميل ويتثنى برقة ورشاقة.

(٢) معشوقاً: محباً، القتام: الغبار. سيء الظن: ساءه ما رأه منها، أو ما لاحظه على سلوكيها، وشعورها نحوه.

(٣) يغطط: يردد صوتاً كصوت المختنق. البكر: الفتى من الإبل. شد خناقـهـ: وضع حبل حول عنقه ليراضـ بهـ. ليس بـقاـتـالـ: لا يقدر على القتل.

(٤) المشرفيـ: السـيفـ المنـسـوبـ إـلـىـ الشـامـ. مـسـنـونـةـ زـرقـ: سـهـامـ مـسـنـونـةـ، حـلـدةـ. الأـغـوالـ: الشـاطـئـينـ.

(٥) البـالـ: صـانـعـ النـبـالـ، ويـقـصـدـ هـنـاـ النـبـالـ، أيـ الرـاميـ.

(٦) شـفـفـتـ فـؤـادـهاـ: بلـغـ حـبـيـ شـفـافـ قـلـبـهاـ. المـهـنـوـةـ: النـاقـةـ المـطـلـيةـ بالـقـطـرانـ.

وقد علمت سلمى وإن كان بعلها
 بأن الفتى يهدي وليس بفعال^(١)
 وبيت عذاري يوم دجن ولجته
 يطفن بجماع المراافق مكسال^(٢)
 سبات البنان والعرانيين والقنا
 لطاف الخصوص في تمام واكمال^(٣)
 نواعم يتغرن الهوى سبل الردى
 يقلن لأهل الحلم ضلاً بتضلال^(٤)
 صرفت الهوى عنهن من خشية الردى
 ولست بمقلي الخلال ولا قال^(٥)

يظهر الشاعر هنا بمظهر الممتنع، الذي يجد الأسباب كلها
 ميسرة، والسبل أمامه ممهدة، ولكنه يخشى أن يلحقه العار،
 وتحيق به الإهانة إذا افتضح أمره، واكتشف سره. فينصرف سالماً
 حفاظاً على كرامته وعنتواه.

(١) الفتى: يزيد زوجها. يهدي: يقول ما لا يعقل من التهديد والوعيد. ليس
بفعال: لا يفعل شيئاً.

(٢) الدجن: إلباس الغيم السماء. ولجته: دخلته. جماء المراافق: غابة عظم
المرفق لكترة لحمة ونعمتها. مكسال: بطيئة عن العمل لغضارتها ونعمتها.

(٣) سبات البنان: طوال الأصافع. العرانيين: الأنوف. القنا: القمامات.

(٤) يتغرن الهوى سبل الردى: هواهن يؤدي إلى الهالاك. أهل الحلم: العقلاء.

(٥) الردى: الموت والهلاك. خشية الردى: خوف الفضيحة. مقلي: مكروه. الخلال:
الخصال والصدقة.

الذكرى والحنين :

في هذا الموضع تتوالى لديه صور الحنين والذكريات، صور الفراق والارتحال. وما حلّ بالمصارب والمنازل والديار، التي كانت مربعاً، وملعباً للحبية، وكانت مشاعره تشار حينما تقع عينه على تلك الديار المهجورة، المتروكة، المنسيّة ديار الأنس والبهجة والطمأنينة، التي أصبحت موحشة مقفرة، وأصبحت الديار أطلالاً لا أثر فيها إلا ويشير لوعة وأسى. عند هذا يتطلب من صاحبيه أن يقفوا. ويقول^(٤):

فَقَا نِبَكْ مِنْ ذَكْرِي حَبِيبٍ وَمِنْزِلٍ
بِسَقْطِ اللُّوْيِ بَيْنِ الدُّخُولِ وَحُوْمَلٍ^(١)
فُتُوضِّحُ فَالْمَقْرَأَةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا
لَمَّا نَسْجَتْهَا مِنْ جَنْوبٍ وَشَمَائِلٍ^(٢)
تَرَى بَغْرِ الْأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا
وَقِيعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فَلْفَلٍ^(٣)

(٤) *الديوان* - ص ١١٠ - ١١١.

(١) السقط: منقطع الرمل. اللوي: حيث يتلوى الرمل. الدخول وحومل: بلدان.

(٢) توضّح فالمقرأة: موضعان. لم يعف: لم يذهب ولم يدرس. الرسم: الآثر. جنوب: ربيع جنوبية. شمال: ربيع شمالية.

(٣) الأرام: جمع رشم، وهي الطباء البيض. العرصات: جمع عرصه، وهي الساحة. القیعان: جمع قاع وهو موضع استجمام الماء.

وقفاً بها صحي على مطّيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمّل^(١)
وإن شفائي عبرة إن سفتحتها
فهل عند رسم دارس من مُعْوَل^(٢)

عندما رأى آثار الديار الخالية، طلب من صاحبيه الوقوف
بجانبه. فقد هاجت ذكرياته، عندما وجد الديار موحشة. وثارت
لوعته، لما آل اليه المنظر، وبعد أن كان موطن الجمال، صار
مسكن الوحوش، ومصدر الهموم. ولم يقف عند هذا الحد بل
انهمرت الدموع من عينيه، ويحاول صاحبها أن يخففها الأسى عنه
ولكنه يتساءل: هل يجدي البكاء عند رسوم الأطلال.

لكننا إذا نظرنا إلى المعنى العام بنظرة استحداث للتراث، نرى
فيه ما يناسب الواقع. إذ أنه يبكي الأرض المترفة بلا حراثة ولا
زراعة. ويبكي حال الناس الذين لا يتعلقون بالتراب وبالثرى.
ليس هذا فقط بل نراه في مواضع كثيرة يصف موكب الرحلة،
ويقول^(٣):

تَبَصِّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنْ
سَوَالِكْ نَقْبَا بَيْنَ حَزْمِي شَعْبَبْ^(٤)

(١) المطي: الإبل. تجمّل: تصرّر وتجلد وتحمل.

(٢) العبرة: الدموع. سفتحتها: صبّتها. رسم: آثر. دارس: ذهبت معالمه.
معول: جدواي وتفع.

(٣) الديوان - ص ٣٠ - ٣١.

(٤) الظعائن: النساء في الهدوج. النقب: الطريق في الجبل. شعّبب: اسم ماء.

غلون بانطاكيَّة فوق عُقْمَةٍ

كجرمة نخلٍ أو كجنة يثرب^(١)

فليله غيَّنا منْ رأى من تَفَرُّقٍ

أشَّتْ وأنَّى من فراق المَحْصُب^(٢)

فريكان: منهم جازع بطن نخلةٍ

وآخر منهم قاطع نجدَ كَبَّكِ^(٣)

فعيناك غرباً جدولٍ في مُفَاضَةٍ

كمُرُّ الخليج في صفيح مُصَوَّب^(٤)

يبين في هذه الصورة أن موكب الرحلة قد سار في طريق بين مرتفين. وكانت النساء في الهوادج يظهرن في منظر جميل وبهيء. وأن القوم تفرقوا كل إلى وجهته أما صاحبنا فقد آلمه المنظر، وانهم الدمع من عينيه شوقاً ولوعة.

وفي منظر آخر يصور رغبته في الذهاب إلى الحبيبة بعد

(١) علون بانطاكيَّة: غطين بثاب انطاكيَّة. جرمة نخل: ما يقطع من البلع. الجنة: البستان.

(٢) فليله أمر من رأى: يعظم أمر الفراق. أنَّى: أشد بعدها. المَحْصُب: المكان الذي ترمي فيه الجمار بمدينته منى.

(٣) بطن نخلة: بستان ابن مقمر. النجد: المرتفع. كَبَّك: اسم جبل.

(٤) الغربان: مثنى غرب وهو الدلو. الجدول: النهر الصغير، والمراد به هنا البشر. المفاضة: الأرض الواسعة. الخليج: النهر المتفرع من نهر أعظم. الصفيح: العجارة العريضة على جانبي النهر. المصوب: المنحدر.

ارتحالها، لكنه يدرك أنَّ ما بينه وبينها أخطار جسام، ويقول^(٣):

أَمِنْ ذَكْرَ سَلْمٍ أَنْ تَأْتِكَ تُشْوِصُ
فَتَقْصُرُ عَنْهَا خَطْرَةً أَوْ تُبُوصُ^(١)
وَكَمْ دُونَهَا مِنْ مَهْمَمٍ وَمَفَازَةٍ
وَكَمْ أَرْضَ جَذْبٍ دُونَهَا وَلَصَوْصُ^(٢)

وفي موقف آخر نراه في حيرة، لأنَّه يحتاج إلى معرفة شعورها
بعد الفراق فيتساءل^(٤):

إِلَّا لَيْتْ شِعْرِي كَيْفَ حَادَثَ وَصَلَبَهَا
وَكَيْفَ تُرَاعِي وَضْلَةَ الْمُتَغَيِّبِ^(٣)
أَدَمَتْ بَيْنَنَا عَلَى مَا مِنْ مَوْدَعَةٍ
أَمِيمَةٌ أَمْ صَارَتْ لِقَوْلِ الْمُخَبِّبِ^(٤)

وأخيراً نراه وكأنَّه يجيب سائلاً يسأله عن رأيه في المرأة وما
تحب فيجيب:

(١) *الديوان* - ص ٩١ - ٣٠ - ٨٦.

(٢) *تأتك*: بعدت عنك. *تُوشِّصُ*: تحول. *تقصر عنها خطوة*: تخبس عنها خطوة.
تُبُوصُ: تسبق.

(٣) المهمة: الأرض البعيدة التي لا أنيس فيها.

(٤) *كيف حادث وصلها*: أي هو ثابت أم متغير. *وكيف تراعي وصلة المتغير*: هل
تحفظ وصالي وتندوم على محنتي ، وأنا غائب؟.

(٥) *المخبب*: المفسد الذي يعلمها المكر والفساد.

أراهن لا يُخَبِّن مَنْ قَلَ مَائَةُ
وَلَا مِنْ رَأْيِ الشَّيْبِ فِيهِ، وَقَوْسًا^(١)

إنه يرى أنهن لا يحببن الرجل الفقير، ولا من هرم وكبر وشاب
شعره، وتقوس ظهره نتيجة الكبر.

لقد تهيات الظروف والأسباب لامرئ القيس، فصدر عنده هذا اللون من الغزل الرقيق، بأسلوب قصصي يصور فيه ما يختلج في النفس الإنسانية وما يدور بنفسه المنحرفة التي تخلت عن كل الوان المسؤولية، وحرمت من التوجيه والإرشاد.

وقد لعب الخيال دوراً كبيراً في إبراز هذه الصور التي تمثل أوهام الشباب وظهرت لديه الحيلة وسعة الخيال، والموهبة الطبيعية مما جعله يغزو قلوب النساء بسلاح الكلمة الرقيقة والمعاني الأنثقة.

- الطرد والقنصل :

يمثل هذا الجانب في شعر امرئ القيس، لوناً من الوان النشاط الانساني، ولعباً فردياً وجماعياً، يمارسه الإنسان في أوقات محددة، ويرفعه عن نفسه في الطبيعة التي هي أم الجمال والعطاء. وهذا الجانب هو رياضة وفتوة لا يزال الكثيرون يمارسونها حتى وقتنا الحاضر.

(١) أراهن: يعني النساء. وقوس: انحنى ظهره لكبر سنه.

والشاعر هنا يعرض لنا صوراً لمناظر مختلفة. فحياناً نراه على
صهوة جواده وحياناً على فرس تقاد تطير به. وهذه الصور كثيرة في
شعره تمثل منها هذه المقاطع الدالة والموحية على قصصنا^(*):

وقد أغتدي والطيرُ في وُكّناتها
بمنجرِد قيد الأوابد هَيْكَلٌ^(١)
مَكَرٌ، مَفْرٌ مقبل مدبر معاً
كجلمود ضخِر حَطَّهُ السِّيلُ من عَلٍ^(٢)
كُمَيْتٌ يَزِلُ اللَّبْدُ عن حال مَتْبِهٍ
كما زَلَت الصَّفْوَاء بالمتَنْزِلٍ^(٣)
مسَحٌ إذا ما السابحاتُ على الونِي
أثْرَنَ غباراً بالكَدِيدِ المَرَكَلٍ^(٤)

(*) الديوان - ص ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠.

(١) منجرد: فرس قصير الشعر. الأوابد: الوحش. الهيكل: الفرس الضخم.

(٢) مكر مفر: متعدد على الكروافر وهو الإقبال والإبدار. الجلمود: الصلب الشديد التماسك.

(٣) يزلق: ينزلق. منه: ظهره. الحال: موضع اللبد من ظهره، يريد أن الحصان أملس ينزلق اللبد، الصفواه: الصخرة الملساء. المتازل: النازل عليها.

(٤) مسح: يتبع في جريه بسهولة وسرعة مثل سع المطر وهو انصابه. السابحات: التي تسبط يديها إذا أخذت فكانها تسبح. الونِي: الفنور والتعب. الكَدِيد: ما غلظ من الأرض. المَرَكَل: الذي ركلته الخيل بحوافرها، فأثارت الغبار لصلابتها وشدة وقعتها.

على العقب جيئاشِ كأنَّ اهتزامه
 إذا جاش فيه حميَّه غليُّ مرجُل^(١)
 يطيرُ الغلام الخفُ عن صهواته
 ويُلوّي بثواب العنف المثقل^(٢)
 ذريرٌ كخذروف الوليد أمْره
 تُقلُب كفْيه بخطبٍ مُوصَل^(٣)
 له أسطلاً ظببي وساقاً نعامة
 وإدخاء سرحانٍ وتقريبٍ تَتَقَلُّ^(٤)
 كأنَّ على الكتفين منه إذا انتَحَى
 مذاكَ عروسٍ أو صرَايةٍ خنْظَل^(٥)

(١) العقب: جري بعد جري. اهتزامه: صوت جوفه عند الجري. حمي: غلي. مرجل: قدر.

(٢) الخف: الخفيف. الصهوات: جمع صهوة، وهي موضع اللبد من ظهره، وجمعها يقصدها وما حولها. أي أن هذا الحصان يسقط الغلام الخفيف عن ظهره لسرعته وشدة دفعه. يلوّي بثوابه: يذهب بها ويسقطها من شدة عدوه. العنف: الأخرق. المثقل: التقليل الذي لا يحسن الركوب.

(٣) ذرير: سريع خفيف. الخذروف: لعبة يلعبها الصبيان لها صوت وهي سريعة الحركة. خطبٍ موصَل: لعب به كثيراً فتقطع فوصل.

(٤) الأسطلا: الخاصرة. الأرخاء: سير ليس بالشديد. السرحان: الذئب التقليل: ولد الثعلب.

(٥) مذاك العروس: العجر الذي يسحق عليه الطيب. الصرایة: الخنطة الصفراء.

وبات عليه سرّجه ولجامه
 وبات بعيوني قائماً غير مُرسَلٍ^(١)
 فَعَنْ لَنَا سَرْبٌ كَأَنْ نَعَاجِه
 عذارى دوارٍ في الملاء المذَيل^(٢)
 فَادَبْرُنَ كِالْجَزْعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهِ
 يَجِدْ مَعْمَمٌ في العشيرة مُخْوَلٍ^(٣)
 فَالْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهِ
 جَوَاحِرُهَا في ضَرَّةٍ لَمْ تَرَيْلِ
 فعادى عداءً بين ثورٍ ونوجةٍ
 دِرَاكاً ولم يُنْضَحْ بِمَاءٍ فَيَغْسَلِ
 وَظَلَّ طَهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضَحٍ
 صَفِيفٌ شِوَاءُ أوْ قَدِيرٌ مُعَجَّلٌ
 وَرُخْنَا وَرَاخَ الْطَّرْفُ يَنْفَضُّ رَأْسَهُ
 مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِ تَسْهُلٌ
 كَانَ دَمَاءُ الْهَادِيَاتِ بَنْحِرٍ
 عَصَارَةُ جَنَاءٍ بَشَبِّبٍ مُرَجَّلٍ

(١) بات عليه سرّجه ولجامه : كان معداً للصيد في الصباح . مرسل : بعيد .

(٢) عنْ : عرض وبيان . نعاجه : إناثه . دوار : صنم من أصنام الجاهلية . الملاء الملاحف . المذَيل : الطويل ذو الأهداب .

(٣) الجز : الخرز . المفصل : الذي فصل بيته باللؤلؤ . جيد : عنق . مخول : صبي كريم العم والخال .

وانت إذا استدبرت سُدُّ فرجه
بضافٍ فوق الأرض ليس باعزل

في هذا المقطع صور كثيرة ومتعددة منها: صورة الحصان، وبقر الوحش، والطهاء وحال الحصان بعد المجهود الذي بذله في العمل. فالحصان أعد للصيد ليلاً، لأن الرحلة في الصباح الباكر، والحصان نفسه يعرف هدفه وغرضه إذ أنه يخرج نحو هدفه قبل أن تغادر الطيور أو كارها. وهو جواد كريم أصيل، ملء العين والفؤاد، ضخم، ضامر، قصير الساقين، طويل الفخذين. فيه قوة تؤهله للسيطرة على الوحش، وحبس أنفاسها. وظهوره أملس ناعم حتى أن اللبد ينزلق عليه سريعاً بمجرد لمسه. ثم يبدأ الحصان بالجري. فينطلق كالسهم، بحيث لوركه غلام خفيف لطار بعيداً عن صهوته، ثم لاح له من بعيد قطيع من البقر الوحشي، بيض اللون طوال الذيل، يدور ويلعب في مرح ونشاط. فاندفع الحصان نحوه وضرب نطاقاً حصيناً حوله، وجمع الحصان بين أواخر القطيع وأوائله، ولم يفت منه شيء. وصرع كثيراً من النعاج دون أن يظهر عليه أي جهد وتعب. وأخيراً أتى دور الطهاء، فأعدوا الطعام، ثم جاءت العائدة وعليها أصناف الأطعمة. حيث كان الشاعر مرتاحاً لهذا المنظر الرائع. ومستأنساً بحصانه، إذ كان ينظر إليه من ناصية رأسه حتى ذيله المنسق الجميل.

ونشاهد في هذا المنظر وصفاً آخر للحصان، فيه تجسيم،

وصور متعددة للفارس وحركات الحصان، والحيوانات، والخدم، وللمرحلة الطويلة من بدايتها حتى نهايتها^(١).

وقد أغتدي والطير في وُكّناتها
وماء الندى يجري على كل مذنب^(٢)
بمنجر قيد الأوابد لاحه
طراد الهوادي كل شاؤ مغرّب^(٣)
على الآين جياش كان سراته
على الصمر والتعداء سرحة مرقب^(٤)
يُاري الخوف المستقل زماعه
ترى شخصه كانه عود مشجب^(٥)
له أبطلا ظبي وساقا نعامة
وصهوة غير قائم فوق مرقب

(٤) ص - ٣٢ - ٣٤ - ٣٣ - ٣٥.

(١) المذنب: سيل الماء إلى الروضة. الندى: المطر.

(٢) الهوادي: السابقة. لاحه: أضمره، طراد: مطاردة. الشاؤ: العطق. مغرب: بعيد.

(٣) الآين: التعب. التعداء: كثرة العدو. السرحة: ما عظم من الشجر وطال. المرقب: الأرض المرتفعة.

(٤) الخوف: الذي يرمي بيده في السير. المستقل: القليل. عود مشجب: ضامر أملس.

(٥) صهوة: ظهر.

ويخطو على صم صلاب كأنها
 حجارة غيل، وارسات بطلحٍ^(١)
 له كفل كالذعمن لبده الندى
 إلى حارث مثل الغبيط المذايب^(٢)
 وعين كمراة الصناع تديرها
 لمخجرها من النصيف المنقب^(٣)
 له أذنان تعرف العشق فيهما
 كسامعتي مذعورة وسط رب^(٤)
 ومستقلك الذفري كان عنانه
 ومثانته في رأس جذع مشدٍ^(٥)
 وأسخم ريان الغريب كانه
 عناikel فهو من سميخة مزطٍ^(٦)

(١) الصم: الحوافر الصلبة. الغيل: الماء الجاري على الأرض. وارسات: مصفرات.

(٢) الدععص: الكثيب من الرمل: لبده الندى: سقط الندى على الرمل فتماسك واشتد ولم يتراكم. المذايب: المؤسّع. الحارث: أعلى الكاهل.

(٣) الصناع: الحاذقة بالعمل. المحجر: ما استدار حول العين. النصيف: الخمار. المنقب: الذي تقنعت به.

(٤) مذعورة: يعني بقرة وحشية قد ذعرت. الربّ: القطبيع من البقر.

(٥) المستقلك: المستدير. الذفري: عظم ثانٍ خلف الأذن. المثناة: العجل المشدود في رأسه.

(٦) الأسخم: الأسود. ريان العبيب: ممنلي، الذنب. العناikel: الشماريخ. الفن: العنقود.

إذا ما جرى شأوين وابتلَ عُظْفُه
 تقول هزيرُ الريخ مَرُّتْ باتَابٍ^(١)
 يُدِيرُ قطَاةً كالمحالَة أشَرَفتْ
 إلى سَنِدٍ مثُلَ الغَبِيطِ المَذَابِ^(٢)
 وَيَخْضُدُ فِي الْأَرْيَ حَتَّى كَانَما
 بِهِ عُرَّةً مِنْ طَائِفٍ غَيْرِ مَعْقِبٍ^(٣)
 فِي وَمَأْ عَلَى سَرْبٍ نَقِيٍّ جَلُودُه
 وَيَوْمَأْ عَلَى بِيدَانَةِ أَمْ تَوْلِبٍ^(٤)
 فَبِينَا نَعَاجُ بِرْتَعِينَ خَمِيلَةً
 كَمْثِي العَذَارِيِّ فِي الْمَلَاءِ الْمَهَذِبِ^(٥)
 فَكَانَ تَنَادِيَنَا وَعَقْدُ عِذَارَهُ
 وَقَالَ صِحَابِيِّ قدْ شَأْوَنِكَ فَاطَّلِبِ^(٦)

(١) الشأوان: متن شاؤ، وهو السريع. ابتل عطفه: سال عرقه على جانبيه. هزير: صوتها. الأناب: شجر.

(٢) القطاة: مقعد الردف. المحالة: البكرة العظيمة. أشرف: مشرف مرتفع. مذاب: له ذئب، جمع ذئبة وهي الفروج.

(٣) يخضد في الأري: يكسر الأواخي. العرج: الجرب.

(٤) السرب: القطيع من بقر الوحش. نقى جلوده: يبرد بياض جلوده. البدانة: الأنان الوحشية المكتنزة الجسم. التولب: الجحش.

(٥) النعاج: إناث بقر الوحش. الخميلة: رملة فيها شجر. المهدب: ذو الهدب.

(٦) تنادينا: نداء بعضا بعضاً. عقد عذاره: ربطة. شأونك: سبقتك.

فلَا يَأْبَلَيْ ما حَمَلْنَا وَلِيَدْنَا
 عَلَى ظَهَرِ مَحْبُوكِ السُّرَّاةِ مَحْبُوكٌ^(١)
 وَوَلَى كَشْرُوبِ الْعَشِيِّ بِوَابِلِ
 وَيَخْرُجُنَّ مِنْ جَفْدِ نَرَاهِ مَنْصُوبٌ^(٢)
 فَلَلْسَاقِ الْهَوْبِ وَلِلْسُوْطِ دَرَّةٌ
 وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَمْوَاجِ مِنْعَبٌ^(٣)
 فَادْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَنْ شَاؤِه
 يَمْرَ كَخَذْرُوفِ الْوَلِيدِ الْمَثْقُوبِ^(٤)
 تَرَى الْفَارِ في مَسْتَقْعِدِ الْقَاعِ لَاحِبًا
 عَلَى جَدَدِ الصَّحَراَءِ مِنْ شَدَّ مُلْهِبٍ^(٥)
 خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقَهُنَّ كَائِنًا
 خَفَاهُنَّ وَدَقُّ مِنْ عَشِيَّ مُجَلِّبٍ^(٦)

(١) لَأَيْ: جَهْد. المَحْبُوك: الْفَوْيُ الْمَجْدُولُ. الْمَحْبُوكُ الَّذِي فِي يَدِيهِ وَصْلُهُ اَنْحَاءً.

(٢) شُرُوبُ الْعَشِيِّ: أَغْزَرَ مِنْ غَيْرِهِ. الْمَنْصُوبُ: الْمَرْفَعُ.

(٣) الْهَوْبُ: لَهِبُ. الْسَّاقُ الْهَوْبُ: إِذَا حَرَكَهُ بِسَاقَ الْهَبِ الْجَرِيِّ. أَمْوَاجُ: لَا عَقْلَ لَهُ.

(٤) لَمْ يَنْ شَاؤِه: أَدْرَكَ الْوَحْشَ بِسُرْعَةِ فَانْقَةٍ.

(٥) الْقَاعُ: بَطْنُ الْأَرْضِ. الْجَدَدُ: مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ وَصَلَبُ. مُلْهِبُ: شَدِيدُ الْجَرِيِّ وَمُلْهِبُهُ.

(٦) خَفَاهُنَّ: أَظْهَرُهُنَّ. الْوَدَقُ: الْمَطْرُ. مُجَلِّبُ: تَسْمَعُ لَهُ جَلْبَةُ لَشْدَةِ وَقْعِهِ.

فِعْلَادِي عِدَاءُ بَيْنَ ثُورٍ وَنَعْجَةٍ
 وَبَيْنَ شَبُوبٍ كَالْقَضِيمَةِ قَرْهِ^(١)
 وَظَلَّ لِثِيرَانِ الصَّرِيمِ غَمَاغِمَ
 يُدَاعِبُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ الْمَصْلُبِ^(٢)
 فَكَابٌ عَلَى حُرُّ الْجَبَيْنِ وَمُسْتَقِ
 بِمَذْرِيَّةِ كَأْنَهَا ذَلْقُ مِشَعَبِ^(٣)
 وَقَلْنَا لِفَتِيَانَ كَرَامٍ أَلَا انْزَلُوا
 فَعَالُوا عَلَيْنَا فَضْلَ شَوْبَ مَطْبِ^(٤)
 وَأَوْتَادَهُ مَاذِيَّةٌ وَعِمَادُهُ
 رُدَيْنَيَّةٌ فِيهَا أَسْئَةٌ فَعَضَبِ^(٥)
 وَأَطْبَابُهُ أَشْطَانٌ خُوْصٌ نِجَابٌ
 وَصَهْوَتُهُ مِنْ أَتْحَمِيِّ، مُشَرَّعِبِ^(٦)

(١) عادى عداء: تابع ووالى صيد الوحش، بين ثور ونعجة. شبوب: ثور من.

(٢) الصريم: المنقطع من الرمل. غمامم: أصوات. السمهري: الرمung الشديد.

(٣) الكابي: الساقط على وجهه. المدرية: القرن. الذلق: الحد. المشعب: الإشفي، وهو مخرب يشعب به.

(٤) عالوا علينا: ارفعوا علينا. المطب: المتدود بالأطناب، وهي جبال الخباء.

(٥) الماذية: الدروع الصافية اللينة. الردبنة: رماح منسوبة إلى ردينة، وهي امرأة كانت تقوم الرماح. فعصب: رجل يقال إنه زوج ردينة.

(٦) أشطان: جبال. خوص: غائرة العيون. الأتحمي: نوع من برود اليمن. مشرعب: منع.

فلما دخلناه أصفنا ظهورنا
 إلى كل حاريٍ جديد مشطٍ^(١)
 كأن عيون الوحش حول خبائثا
 وأرجلنا الجزع الذي لم يثبت^(٢)
 نمشُ بأعرافِ الجنادِ أكفنا
 إذا نحن قمنا عن ثوابِ مذهب^(٣)
 ورحنا كأننا من جوانثِ عشية
 نعالِي النعاج بين عذلِ ومُحَقِّب^(٤)
 وراح كتيس الربل ينفض رأسه
 أذاء به من صاثك متسلٍ^(٥)

في هذه الصورة من صور الطرد والقنصل، لا يخرج للصيد
 مبكراً فقط، بل في الغلس ليلحق الطيور في أعشاشها. وكان ذلك
 في ليلة ماطرة، فركب صهوة جواهِ الذي اعتاد على مطاردة
 الوحش في الأرجاء الواسعة، وهو حصان سريع، ضخم،
 مرتفع، يسبق الوحش، ضامر الخضر، صلب الساق، معتدل

(١) أصفنا ظهورنا: أملناها وأسندناها. مشط: فيه مدارج كمدارج النمل.

(٢) الجزء: الخرز.

(٣) نمش: نسخ. المذهب: الذي لم يدرك نضجه.

(٤) رحنا: عدنا. جوانث: قرية بالبحرين تمرأهالذبد. محقب في الحقائب.

(٥) الربل: نبت ينبت ببرد الماء لا بالمطر. الصاثك: العرق التقليل الريح.

الظهر، قوي الحوافر، صافي العين، حاد السمع. وهذه الصفات تدل على أصالة الحصان.

ويظهر من بعيد قطيع من بقر الوحش يختال في مشيته. فترتفع الأصوات بالإسراع نحوه. فيتحرك الحصان بقوّة وشدة فزلزل الأرض تحت قدميه وأحدث خفيفاً أفعى الفتران فتركت أنفاقها وهربت، وأدرك القطيع في انطلاقه واحدة. وأخذ يصول ويحول حتى قتل وصرع منه كثيراً، ثم انتهت المعركة فطلب من فتيان معه أن يعدوا العدة للراحة. فأعدوا بيته أوتاده دروعهم، وعماده رماحهم، وأطنابه جبال دوابهم، وسقفه أنواع من البرود اليمانية. ثم أعد الطعام اللذيد، وفي النهاية عند المساء يقفل راجعاً مع أصحابه، مع اللحم الكثير، والصيد الوفير.

إن الشاعر هنا يظهر بمظهر الصياد البارع المحنك، الخبرير بأحسن وسائل الصيد وأساليبه، إنه فنان في هذا المجال، وفي كل مجال طرق بابه. كذلك ينظر لنا الشاعر بمظهر الترف والرفاهية؛ فهو يأخذ معه مساعدين من الفتيان، والخدم، والطهاء، كي يسهروا على راحتة ويؤمنوا له كل أسباب الراحة.

فشعره في هذا المجال يدل على اهتمامه بالطرد والفنص واعتئاته بالخيل، وحبه للرياضة، وحبه للظهور بمظهر الخبرير، الفطن، الميال إلى الرفعة والمجد.

الطبيعة في شعره:

حظيت الطبيعة بنصيب ملحوظ في شعر امرئ القيس، فصور كثيراً من ظواهرها الحية والصامتة، الساكنة والمتحركة. وفي هذه المتناقضات نلحظ صوراً لحيوانات مختلفة، ووقف أمام الظواهر الحيوية التي أثارت اهتمامه وحركت مشاعره، فسجل كل ما شاهده بأمانة وصدق، ولون بالكلمات حتى أنت صوره ناطقة أو تكاد. ومن هذه الصور:
١ - الناقة^(*):

فَذَعْ ذَا وَسْلُ الْهَمْ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ
ذَمْوَلْ إِذَا صَامَ النَّهَارَ وَمَجْرَاً^(١)
تُقْطُعُ غِيَطَانًا كَأَنْ مُشَوَّنَهَا
إِذَا أَظْهَرْتُ تُكَسَّى مُلَاءَ مُنْشَرَا^(٢)
بِعِيدَةَ بَيْنَ الْمُنْكَبَيْنِ كَأَنَّهَا
تَرَى عَنْدَ مَجْرِيِ الصَّفَرِ هِرَّاً مُشَجَّرَا^(٣)
كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامَهَا
إِذَا نَجَّلْتُهُ رَجْلُهَا خَذْفُ أَغْسَرَا^(٤)

. (٤) الديوان ص ٦٣.

(١) جرة: ناقة نشيطة، النمول: السريع السير، هرّ: اشتد حرّه.

(٢) نكسي ملاء منشاراً: تنشر عليها السراب وقت الظهيرة وتزهق الحر، فكماها بما يشبه البياض.

(٣) بعيدة بين المنكبين: يقصد سعة صدرها.

(٤) الخذف: الرمي بالحصى ونحوه. نجلته: فرقته ورمته به.

كأن صليل المَرْوِحِينْ نُطِيرَهُ صليل زُيوفِ ينْقَذُنْ بعفرا^(١)

هذه الصورة من صور التسلية، ووسيلتها الناقة، فمن خلال الوسيلة يهرب الشاعر مع أحلامه لينسى الحزن، ويتحقق ذلك على ظهر ناقة سريعة معتادة على الصعب وفي أشد الأوقات حراً وتوجهًا، حيث السراب يلف الأرجاء والأنحاء، إنها قوية الجسم، متباعدة بين كتفيها. وصدرها واسع لا يضيق بالنفس مهما بذلت من جهد. وهي تجري كالخائف المرتاع فيتطاير الحصى من مناسمهها، ويتفرق في كل اتجاه محدثًا صوتاً عالياً شديداً.

٢ - البقر الوحشي :

جاءت صور البقر الوحشي في أثناء صور الصيد، وقد رأينا بعض النماذج منها في وصف الصيد والفنص. ويظهر البقر الوحشي في مجمل صوره بلون أبيض جميل، وأذناب طويلة، وفي أرجلها خطوط بيضاء وسوداء. وحينما تكون في خوف من خطر داهم تحدث أصواتاً تتردد في الأرجاء، وهي حيوانات سريعة جداً.

٣ - النعام :

استغلت صور الذكر من النعام وهو عائد إلى البيض من مكان

(١) الصليل: الصوت . المرو: الحجارة. نطيره: نفرقة. زيف: رديبة. عفرا: موضع باليمن.

بعيد لتصویر سرعة الناقة القادرة على الوصول إليه، ففي إحدى
الصور يقول الشاعر^(١):

كأني ورحلٍ والقارب ونمرقٌ
على يرفني ذي زواند نفني^(٢)
تروح من أرض لارضٍ نطيةٍ
لذكرة قبض حول بيضٍ مفلقٍ^(٣)
يجول بأفاق البلاد مغرياً
ونسخه ريح الصبا كلَّ مسحٍ

لقد ذهب الظليم بعيداً عن بيضه، وعندما تذكره في المساء
ملع وخاف لأنَّه أمسى بعيداً عنه، وينطلق بسرعة من أرض بعيدة،
حتى يدرك بيضه ويطعن.

٤ - الصقر :

الصقر طائر مشهور بقوته وسرعة انقضاضه على فريسته. ذو
نظر حاد جداً. وقد استخدمه الشاعر كرمز في إبراز قوة حصان يركبه

(١) الديوان - ص ١٠٤ .

(٢) القراب: غلاف. البرقني: الظلليم، وهو ذكر النعام. النفن: اسم من أسماء
الظلليم.

(٣) تروح: راح هذا الظلليم إلى بيضه في المساء. نطية: بعيدة.

(٤) يجول: من الجولان، أي الذهاب والمجيء. آفاق البلاد: نواحيها. مضرباً:
مبعداً ذاهباً. تسخنه: تبعده وتذهب به.

الغلام الذي يساعد في رحلات الصيد، وقال فيه^(٤):

كأن غلامي إذ علا حال متنبه
على ظهر باز في السماء مُحْلِق^(١)
رأى أرنبًا فانقضَّ بهوي أمامه
إليها وجلاها بطرف مُلْقَلِق^(٢)

٥ - الليل^(٣):

يقول في ذلك:

وليل كموج البحر أرخي سُدُوله
عليَّ بأنواع الهموم ليبيتلي^(٣)
فقلت له لما تَمْطَى بصلبه
وأردد أتعجاز أوناء بـكـلـكـلـ^(٤)
ألا أيها الليل الطويل إلا انجلي
بصبح وما الإصباح فيك بـأـمـشـلـ^(٥)
فيالـكـ من لـيلـ كـأنـ نـجـومـهـ
بـكـلـ مـضـارـ الفـتـلـ شـدـتـ بـيـذـبـلـ^(٦)

(٤) الديوان ص ١٠٦ - ١١٧.

(١) حال متنبه: حال فرسه.

(٢) رأى أرنبًا: أي الباز. بهوي: يدنو. ملقلق: حاد لا يفتر.

(٣) سدوله: ستوره. ليبيتلي: ليختبر ما عنده من الصبر والجرع.

(٤) تَمْطَى: امتد. ناه: نهض. الكلكل: المصدر.

(٥) انجلي: انكشف. الإصباح: ظهور الصباح.

(٦) المضار: الشديد القتل. يذبل: اسم جبل.

كأن الشريا علقت في مسامها
بأمراس كان إلى صم جندل^(١)

إن الصورة هنا صورة ليل طويل لا نهاية له. إنه ليل الهموم والاحزان والكآبة. وظلمة الليل القاسية رمز ظلمة النفس المتعبة المرهقة من أحداث الحياة. ويخيل إليه أن الليل سيتلعنه وبخنقه، فيضرع إليه كي يخفف وطأة الكابوس عنه، وأن يسمع للضوء أن يأتي كي يعيد الطمأنينة إلى نفسه، ولكن الأمل في ذلك ضعيف لأن الليل ثبت بأمراس وحبال، حتى أصبح ثابت البنيان، وطيد الأركان لا أمل في زحزحته، ووقف أمامه دون حركة ولا حياة.

٦ - البرق والمطر والنبات:

ويشمل هذا كله في قوله^(٢):

أحرار ترى برقاً كأن وميضه
كلماع البدين في حبي مُكَلِّ^(٣)
يضيء سناء أو مصابيح راهب
أهان السليط في الذبال المفتل^(٤)

(١) مسام الشريا: مكانها الثابت. جندل: صخر.

(٢) الديوان ص ١٢١ - ١٢٢.

(٣) أحرار: يا حرث. الحبي: ما خَبَأَ من السماء وهو العارض المرتفع.

(٤) السناء: الضوء. السليط: الزيت.

فعدتْ لِهِ وصحيبتي بَيْنَ حَامِرٍ
 وَبَيْنَ إِكَامٍ بُعْدَ مَا مُتَأْمِلٌ^(١)
 وأضَحى يَسْعُ الماءَ عَنْ كُلِّ فِيقَةٍ
 يَكْبُثُ عَلَى الْأَذْقَانِ دُوْجُ الْكَنْهِيلِ^(٢)
 وَتَيْمَاءَ لَمْ يَتَرَكْ بِهَا جَذْعٌ نَخْلَةٌ
 وَلَا أَطْمَاءً إِلَّا مَشِيداً بِجَنْدَلٍ^(٣)
 كَانْ طَمِيْةُ الْمُجَنِّمِ رُغْدَةً
 مِنْ السَّيْلِ وَالْغَنَاءِ فَلَكَةً مِفْزَلِ^(٤)
 كَانْ أَبَانَاً مِنْ أَفَانِينَ وَدْقِهِ
 كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمْلِ^(٥)
 كَانْ سِبَاعَةً فِي غَرْقِي غُدَيْةً
 بِأَرْجَانِهِ الْقَصْوَى أَنَابِيشُ عَنْصُلِ^(٦)

(١) حامر: موضع في بلاد عطفان.

(٢) يسع: يصب. الفيق: ما بين الحلبتين. الكنهيل: الشجر الكبير.

(٣) تيماه: من أمهات القرى: الأعلم: الـبيت المسقف المسطح المبني بالحجارة والجص. جندل: صخر.

(٤) طمية: اسم جبل. المجبر: أرض لبني فزاره. الغناء: ما يحمله الماء.

(٥) أبان: جبل. أفانين: أنواع. الودق: المطر. البجاد: كساء مخطط. مزمول: ملف.

(٦) غدية: في الصباح الباكر. العنصل: بصل بري يعمل منه خل. الأنابيش: ما يزتني به من تحت الأرض.

على قَطْنٍ بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ
 وَأَيْسَرُهُ عَلَى السُّتَّارِ فِي ذَبْلٍ^(١)
 وَالقَى بِسَيَانٍ مَعَ اللَّيْلِ بَرْكَهُ
 فَأَتَزَلَّ مِنْهُ الْعُصْمُ مِنْ كُلِّ مَنْزَلٍ^(٢)

في هذه الصورة نراه جالساً مع صاحبه العارث وكان
 السحاب قد غطى السماء وسد الأفق، وتراكم حتى كلف ونقل.
 فوجه صاحبنا الطرف إليه فإذا بالبرق يضيء بنوره الأرجاء، والرعد
 يضم الأفق والأنحاء. ثم تفتح السماء أفواهاً كالقرب، ويهلل
 المطر بغزاره، ويندفع السيل بقوة وشدة، إذ يقتلع من أمامه
 الأشجار، ويهدم البيوت، ويزيل المنازل، حتى السوحوش في
 أماكنها وكهوفها خافت من شدة السيل، فتركت أوكيارها وهربت
 إلى أمكنة بعيدة طالبة النجاة، لكن البعض منها مات من شدة
 السيل وقوته خاصة السبع المشهورة بالسرعة والقوة. لكن للغيث
 فائدة هي إرواء الأرض الموات إذ تتحرك الحياة فيها وتتنفس عن
 أزاهير ورياض غناء.

ولا شك أن هذا الوصف للطبيعة يدل على قوة الملاحظة عند

(١) قطن: اسم جبل في بلادبني آسد. الشيم: النظر إلى البرق والمطر ليعلم
مكانهما. الصوب: نزول المطر. السtar وينبل: جبلان ممالي البحرين.

(٢) سيان: جبل. بركه: صدره. العصم: الأوعال، وهي تيوس الجبل. العصمة:
بيان في أظلفة أيديها.

الشاعر، خاصة عندما يبرز لنا الصور الرقيقة لموصوفاته «وقد يكون كثير مما وصفه من ظواهر الطبيعة غير مقصود لذاته كتصويره للبقر الوحشي ، فقد اتخذه وسيلة لبيان سرعة الحصان ، والحمار الوحشي الذي بين به مدى قوة الناقة وسرعتها». وحديثه عن الصقر قد جاء لإظهار مدى القسوة في الانقضاض على الفريسة لديه ولدى حصان الصيد. وهذا التصوير - الرمز - يدل على فطنة وذكاء الشاعر ودقة الملاحظة وسرعة الخاطر لديه.

لكن تأثيره في مظاهر الطبيعة لم يكن واحداً فيها كلها. فقد وصل بتصويره الحصان إلى مرتبة الغلو، إذ فاق فيه تصويره بقية الموصوفات من بقر وحشى وعقاب وصقر. وقد أبدع في تصويره الدقيق للبرق والمطر والغيث. فكانت جزئيات الوصف تجسيداً يكاد يكون حقيقياً وناطقاً، فيه الرقة، وحسن التعبير وقوّة الملاحظة وروعه الانفعال.

الفخر عند امرئ القيس:

في ديوانه شعر قليل في الفخر، لا يمثل حالة عامة كما هي العادة عند بقية أو كثير من الشعراء، بل هو فخر شخصي إذا جاز التعبير. يتعين فيه بنفسه تحت وطأة ظروف غير عادية. منها الإثارة والغضب، أو محنّة، أو تهديد، أو ندم وتحسر.

بعد أن حدثت العداوة بين كندة وأسد، امتنى راحلته، وسار

معجبًا بنفسه فتغنى قائلًا:

عليها فتى لم تحمل الأرض مثله
أبرَّ بِمِيَثَاقٍ وَأَوْفَى وَاضْبَرَ^(١)
هو المنزلُ الألَافَ من جُوْنَاعِطٍ
بني أَسَدٍ حَزْنًا من الأرضِ أوْعِرَا^(٢)

ففي هذين البيتين يدعى الفتوة والقوة لنفسه فقط. وهو القادر على الوفاء بالمواثيق، والصبر والشجاعة. وفي لحظة من لحظات الوجود وانفعالات الحزن والأسى، والحسنة والهم يقول عن نفسه:

قد أقطع الأرض وهي قَفْرٌ
وصاحبي بازل شِمْلَالُ^(٣)
وغائط قد قطعتْ وَخْدِي
للقلب من خوفه إِجْلَالُ^(٤)
وغاية قد تَلَبَّتْ بها
كَانَ أَسْرَابُها الرُّعَالُ^(٥)

(١) عليها: أي على الناقة.

(٢) ناعط: حصن بأرض همدان. جُو: أرض باليمن.

(٣) صاحبي: ناقته. شِمْلَال: سريعة.

(٤) الغائط: الأرض الواسعة. إِجْلَال: رهبة وروعة.

(٥) تلبت بها: تعزمت وتشددت لها. أَسْرَابُها: قطعها. الرُّعَالُ: الجماعة من الخيل.

كأنهم حرشف مبشو^١
 بالجو إذ تبرق النعال^(١)
 صبحتـها الحـيـ في غـدوـةـ
 فـكانـ أـشـقاـهـمـ الرـجـالـ^(٢)

فهو في هذه الأبيات يفخر بنفسه بأنه بطل صنديد، قوي فعال.
 يحجب الفيافي والمقار وحيداً على ظهر ناقته القوية. وينزل في
 مواطن الغيث ويقود الغارات والمعارك الشعواء، فيقتل الرجال،
 ويسبى النساء والأطفال.

كل فخره كان يدور حول نفسه. وكما قلنا إنه فخر شخصي،
 ليس فيه أي ظاهرة قبلية أو فخر قبلي. فلم يفتخر بقبيلته
 وأحسابهم وأنسابهم وأمجادهم وبطولاتهم؛ لأن ذلك سمة ظاهرة
 في الشعر الجاهلي. ولم يرد في فخره أيضاً تلك الصفات التي
 تغنى بها الشعراء في فخرهم مثل الكرم والانفاق وإكرام الضيف
 وحسن معاملة الجار، والعفو عند المقدرة. إنه اهتم وركز على
 النواحي الشخصية في هذا المجال؛ لأن الصلة بينه وبين الآخرين
 كانت فاترة ومنقطعة خاصة إذا علمنا أنه طرد من قبيلته. كذلك
 لعب الميسر والتباكي بالسفه لم يرد في فخره. والخمر كذلك لم
 يهتم بها في شعره على غرار ما جاء عند الشعراء الجاهليين.

(١) الحرف: الجراد. المبشو: المفترق.

(٢) أشقاهم الرجال: لأنهم يقتلون، أما النساء والأطفال فيسبون.

إن فخره كان متصلًا بميله الذاتية كركوب الخيل لمغامرات المجنون واللهو. لكن عندما تغيرت أحواله بدأ يشعر بالمسؤولية. وشعر بما يشعر به الرجال الطامحون إلى المجد. فافتخر بالقوة والشجاعة، كما رأينا في بعض النماذج.

المدح والذم في شعر امرئ القيس:

بعد حياة اللهو والمجنون التي عاشها في فترة حياته الأولى. يدور الزمن وتحدث أحداث لأهله ولقبيلته. فتتحرك عنده مشاعر الحب والصلة التي تربطه بالناس. ويدرك أنه لا يستطيع البقاء في حالة المجنون، وعليه واجبات تجاه الآخرين.

ولا بد من صلات تربطه بالأخرين، فهو واحد منهم، وهناك مصالح مشتركة بينه وبينهم. ومع هذا الاحتياك وجد نفسه في بيئة جديدة، وفي شعور جليد. تمثل في شعره فخرًا، وتذكرًا للأمجاد. فسلك هذا الطريق، وكافع من أجل تحقيق أهدافه الخاصة وال العامة. وعبر عن ذلك بقوله^(٥):

فلو أنَّ ما أسعى لادنى معيشة
كافاني، ولم أطلب، قليلٌ من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثِّلٍ
وقد يُدرك المجد المؤثِّل أمثالِي^(١)

(*) الديوان ص ١٢٩ .

(١) المؤثِّل: الكثير، أو هو المثر الذي له أصل.

فهمه الوحيد أن يعيش في أقل مستوى، أو عيشة فيها الكفاف،
وعندئذ يكفيه قليل من المال. وبال مقابل فإنه مشدود إلى الرفعة
والمعالي طلباً للأمجاد.

ونراه في موقف آخر يدعى أنه نال من بنى أسد، فقال^(٥):

قد فرَّت العينان من مالك
ومن بنى عمرو ومن كاهل^(١)
ومن بنى غنم بن دودان إذ
نفذ أعلامهم على السافل^(٢)
حتى تركناهم لدى معرك
أرجلهم كالخشب الشائل^(٣)

إنه يذم قبائل بني أسد وبصفتهم بأنهم أذلاء، وأنه مصمم على
إهلاكهم وإبادتهم. ثم يذكر أنه قد نال منهم بالفعل حتى قررت
عيناه واستراح حينما أعمل بهم السيف وقتلهم، وتركهم متتفحxi
الأجسام والأرجل التي أصبحت كالخشب المرتفع فوق بعضه.

وتروي الأخبار أن امرأ القيس استجار هانيء بن مسعود بن
عامر، فلم يجره وقال: أنا في دين الملك، فأتى سعد بن الضباب

(٤) الديوان - ص ١٣٤ .

(١) مالك وعمرو وكاهل وغنم: أحباء من بنى أسد. نفذ أعلامهم على
السافل: نكرفهم القتل.

(٢) معرك: ميدان القتال. الخشب الشائل: الذي ألقى بعضه على بعض فارتفع.

الإيادي فأجاره. فقال في ذم هانيء ومدح سعد^(٥):

لعمرك ما سعد بخلة آثم
ولا نأناء يوم الحفاظ ولا حصر^(١)
يفاكها سعد ويغدو لجمتنا
بمثني الزفاف المترعات وبالجُزُر^(٢)
لعمري لسعد حيث حلّت دياره
أحب إلينا منك فافرس حمر^(٣)
وتعرف فيه من أبيه شمائلا
ومن خاله ومن يزيد ومن حجر^(٤)
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا
ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر^(٥)

يقول عن هانيء ذاماً إياه بقلة الخير، وليس فيه مظهر من النصحة والمروعة، ويمدح سعداً بالوفاء وحسن الصحبة، وسعة

(*) الديوان - ص ٧٤.

(١) الخلة: الصدقة والمودة، نأناء: ضعيف مقصري، الحصر: الضيق الصدر.

(٢) يفاكها: يمازحنا ويسقطنا، بمثني الزفاف: يجيء برافق الخمر مرة بعد مرة المترعات: المملوءات، الجزر: وهي الناقة التي تذبح.

(٣) فافرس: فم فرس، حمر: نتن فوه.

(٤) شمائلا: خلاتق وطبائع.

(٥) إذا صحا وإذا سكر: يعني يجمع صفات السماحة والبر والوفاء وال وجود في حالتي صحوه وسكته.

الصدر، وكرم العشرة، ورخاء العيش وطيب الأصل، والحقيقة أن ما ورد عنده في المدح والذم أبيات معدودات وليس فيها ما يصل إلى أن يكون قصيدة مكتملة بموضوع من هذه الموضوعات.

الشكوى والتحسر في شعر امريء القيس:

الشكوى والتحسر موضوعان من الموضوعات الإنسانية المتصلة بالذات البشرية. والإنسان بطبيعة مجبول ولو بشكل فطري على ما نسميه العاطفة، حيث الأحساس ثور وتخبو نتيجة موقف ما. فنراها عند الشاعر قد اهتزت وثارت بعد التجربة القاسية التي تعرض لها إثر مقتل أبيه على يدبني أسد. وقد اعتبرنا أن تلك الحادثة بمثابة صدمة أعادت الوعي الإنساني الشامل للشاعر بعد فقده لفترة من الزمن، عنيت بها فترة الشباب حيث اللهو والمجون.

وبعد تلك الصدمة ظهرت له حقائق الحياة، حقائق لم يدركها في السابق، وبدأ ظهوره على المسرح بشكل يوحى بالثقة خاصة عندما تحمل المشقة والصعاب من أجل الأخذ بالشار من قتله والده. تلك الحادثة جعلته يتصل الناس أفراداً وجماعات، ويختبرها حتى أصبحت لديه قناعات جديدة عن الحياة تمثلت تلك الحقائق في كثير من شعره. وفي هذه الفترة يوازن الشاعر بين حقبتين من الزمن: الحقبة الأولى حيث اللهو والمجون، وال فترة

الثانية حيث العمل والجد، خاصة بعدما شعر بوطأة الزمن وطبيعته المختلفة^(٥).

الا انما الدهر لبالي واعصر
وليس على شيء قوي بمثابر^(٦)

ويذكر في لحظة من لحظات الوجد ما حل به وبقمه من
كوارث وفواجع إذ كان قد بكى جماعة من قومه قتلوا في دياربني
مرينا. فيقول^(٧):

الا ياعين بكى لي شنينا
وبكى لي الملوك الذاهبينا^(٨)
ملوكاً من بني حجر بن عمرو
يساقون العشبة يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيروا
ولكن في دياربني مرينا^(٩)

وبعد مشواره الطويل بين الأحياء والقبائل، باحثاً، وسائلأً،
ومستنجدأً تكتشف له حقائق الناس والحياة، ويحس بوطأة وثقل
الزمن، وأصبح لا يلقى ما يسره «وكلما صاحب إنساناً ووثق به،

(٥) الديوان - ص ٧٣ - ١٦٩.

(٦) قوي: مستقيم. مستمر: دائم مطرد.

(٧) شنينا: الصب.

(٨) بنمرينا: قوم من أهل الحيرة.

ورجا منه حسن الصحبة والاخلاص له، وجد منه عند الاختبار ما لا يرضاه» فيستبدلها باخر، ولكنه لا يجد اللاحق خيراً من السابق، وهنا تبرز له حقائق الحياة بكل صورها. فيقول:

أرانا مُوضعين لأمر غَيْبٍ
وَنَسْخَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالثَّرَابِ^(١)
عَصَافِيرُ وَذِبَانٌ وَدَوْدٌ
وَاجْرًا مِنْ مُجْلَحَةِ الذَّئْبِ^(٢)
وَكُلُّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ صَارَتْ
إِلَيْهِ هَمْتِي وَبِهِ اَكْتَسَابِي^(٣)
فَبَعْضُ الْلَّوْمِ عَاذِلَتِي فَلَمْ يَنْتَهِي
سَتْكِيفِي التَّجَارِبُ وَانْتَسَابِي^(٤)
إِلَى عَرْقِ الْثَّرَى وَشَجَّتْ عَرْوَقِي
وَهَذَا الْمَوْتُ يَلْبِسُنِي شَبَابِي^(٥)

(١) موضعين: مسرعين. لأمر غيب: شيء غاب عن أي مجهول. نسحر: نخدع.

(٢) مجلحة: مصممة على الشيء.

(٣) همتني: عزيمتي. اكتسابي: سعي وعمل.

(٤) بعض اللوم: خفي اللوم وأقلني منه. العاذلة: من توجه اللوم، ولعله يقصد خطوب الزمان.

(٥) وشجت عروقي: اشتبت وتعلقت. إلى عرق الثرى وشجت عروقي: يقصد أنه من التراب وإلى التراب سيعود.

ونفسي سوف يسلّها وجرمي
 فبُلْجُونِي وشيكًا بالتراب^(١)
 ألم أنضي المطي بكل خرقٍ
 أمنق الطول لمَاع السراب^(٢)
 وأركب في اللهم المجر حتى
 أنا مَاكِلَ القُحْم الرُّغَاب^(٣)
 وقد طوفت في الآفاق حتى
 رضيت من الغنيمة بسلاياب^(٤)
 أبغَدَ الحارث الملك ابن عمرو
 وبعد الخير حُجْر ذي القباب^(٥)
 أرجي من صروف الدهر لينا
 ولم تَغْفُل عن الصُّم الصُّلاب^(٦)
 وأعلم أنني عما قليل
 سأنشب في شَبا ظفري وناب^(٧)

(١) الجرم: البدن، الجسم. وشيكًا: سريعاً.

(٢) أنضي: أهزل. المطي: ما يركب من الحيوانات. خرق: فلة.

(٣) اللهم: الجيش الكبير الذي يخفي كل شيء، وبنته، المجر: الكثير الضخم، القحْم: جمع قحمة وهي الضخمة.

(٤) طوفت: أكثرت الطواف والتنقل في نواحي الأرض. الإياب: الرجوع.

(٥) الحارث بن عمرو: جده. حبر ابن الحارث: أبوه. القباب: الأبنية الضخمة.

(٦) صروف الدهر: نكبات الدهر. أرجي: أتوقع. الصُّلاب: الصلبة.

(٧) شَبا: حد. أنسَب: يعلق ويثبت. يقصد بالألفاظ والناب المنية.

كما لاقى أبي حُجْرَ وَجْدًا ولا أنسى قتيلًا بالكلاب^(١)

إنه يحاول أن يتمثل الفلسفة، ولكنه لا يجيدها كما جاءت عند زهير - وطরفة . والمهم أنه يطرق باب الوجود ويصل إلى قناعة عامة أن الناس وكل المخلوقات يسرون إلى نهاية حتمية هي الموت . وما الحياة إلا زينة لا تثبت أن تذويب تحت تأثير ضربات الزمن . بعد هذا يدعى أنه عمل كل ما بوسعه من جهد لاكتساب المجد . ويعلم أن مصيره إلى التراب ، فهو في الأصل منه ، وفي النهاية إليه . وسيوا فيه أجله عمّا قليل ، فيسلبه القوة والعزة ، ويلحقه بأصله . وهنا نرى البأس يتسرّب إلى نفسية الشاعر ، ويقطع الأمل في تحقيق أمانيه ، ويقفل راجعاً من محاولاته ، راضياً من الغنيمة بالإياب إلى أهله وعشيرته من دون فائدة ولا نجاح . ويصم على انتظار نهاية الحتمية ، ونهاية كل مخلوق . تلك النهاية التي أدركها أبوه وجده وأعمامه من قبله .

إنها الحياة هموم تتصل بهموم ، وعلى الإنسان العاقل أن يستوعب مواقف الزمن ، وأحداثه . ولكن الحزن البشري لا يمكن أن ينفي من النفوس التواقة إلى المعالي والرفة . وهذه هي حال الشاعر الذي يبحث عن صديق يسلّي عنه بعض همومه وأحزانه فلا يجده . ويحول بخاطره في دروب الزمن باحثاً عن الحقيقة بين

(١) قتيل الكلاب : عمه شرحبيل .

المتناقضات فيرتمي مرهقاً متعباً من كثرة التفكير إذ أنه لا يجد
جواباً شافياً لكل تناقضات الحياة، وهي بحد ذاتها تناقضات
النفس البشرية. ويقول في هذا شاكيراً منحسرأً^(٤):

مَنْ هُنَالِي مِنْ صَدِيقٍ فَلَيْمَدْ
لِيَعْذِنِي إِنِّي الْبِيَوْمَ كَمِدْ^(١)
مِنْ خُطُوبٍ تَرَكْتِنِي قَلْقَا
قَلْقَ الْمِخْوَرَ بِالْكَتُّ الْمَسَدْ^(٢)
بِيَتْتِنِي بِهَمْوُمٍ شُرْعَ
خَلَسْتُ نُومِي وَأَخْذَتِنِي الشُّهَدْ^(٣)
لَبَتْ شَعْرِي وَلَلَّبَتْ نِبْوَةً
أَيْنَ صَارَ الرُّوحُ إِذْ بَانَ الْجَسَدْ^(٤)
بِيَنْمَا الْمَرْءُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ
ضَرَبَ الدَّهْرَ سَنَاهُ فَخَمَدْ^(٥)
وَلَبَيْنَا الْمَرْءُ يَهُوي قُدْمَأْ
أَفْسَدَ الدَّهْرَ غَنَاهُ فَفَسَدْ^(٦)

(٤) الديوان ص ١٥٧.

(١) فليمد: غليط. ليعدني: ليزرنى ويواسينى. كمد: حزن.

(٢) الخطوب: الأحداث. المسد: الجبل. الكت: الصوف.

(٣) شرع: واردات. خلست: استلبت. أخذتنى: منحتنى.

(٤) نبوة: ارتفاع. بان: انقطع. الروح: يذكر ويؤنث.

(٥) الشهاب: الضوء. ثاقب: ملتئب. خمد: انطفأ.

(٦) يهوي: يجري في عشه. قدماً: متقدماً مرعاً.

ويجهد يتنفسى غئشة
 عاشه الدهر ثراء فمجد^(١)
 لا يضر العجز ذا الجد ولا
 يتفع المحروم إيساع وكذ^(٢)
 ناعم في أهله ذو غبطة
 ومناص عيش سوء في كبد^(٣)
 ركب اللع إنى اللع إلى
 غمرات البحر ذي الموت الأشد^(٤)
 حين أرسى كل من يعرفه
 وارتمنى الآذى منه بالزبد^(٥)
 عاجز الحيلة مسترخي القوى
 جاءه الدهر بماهٍ وولد^(٦)
 ولبيب أيد ذو حيلة
 مُحَكِّمُ الْمِرَّةِ مَأْمُونُ الْعُقْدِ^(٧)

(١) بجهد: بمشقة. يتنفس عيشه: يستله ويتحال في تخلصه ل نفسه. مجد: ترف وارتفاع.

(٢) العجز: الضعف وقلة الحيلة. الجد: الحظ والبحث. كد: تعب.

(٣) ناعم في أهله: هادي، مطمئن، يعيش في نعمة بينهم. كبد: شدة.

(٤) اللع: أمواج البحر. غمرات: الشدائد.

(٥) أرسى: ثبت. ارتمنى الآذى: رمى بعضه ببعضًا. والآذى: الموج.

(٦) القوى: جمع قوة، وهو الطاقة من الجيل أو الخليط.

(٧) لبيب: عاقل. واللب: خالص العقل. أيد: شديد. المرة: شدة القتل.

خُصُّه الدهرُ وغطى حزمه وانتضاه من عبيد وسد^(١)

إنه يبحث عن صديق يواسيه في أزمته وأحداثه المأساوية فلا يجد ذلك الصديق. فلزمته الهموم والأحزان. وسرح بخاطره في هذا الزمن وفي أحوال الناس، فيجد نفسه في حيرة بين المتناقضات وغرائب لا يستطيع فهمها، ولا يجد تعليلًا لها. ويتنمى أن يعرف شيئاً عن حقيقتها: أين تصير الروح حين تفارق الجسد؟ وقد يكون الإنسان في ريعان الشباب والقوءة والفتور، وفجأة يتنهى ويرحل بعيداً إلى عالم آخر. ويجد المتناقضات تلف الحياة قوة وأمل وضعف وحزن. فقر وثراء. قوم ناعمون هادئون، وآخرون أشقياء يائسون وركب الحياة يسير بالناس في بحور عميقة الغور متلاطم الأمواج، بعض ترسو سفنه بطمأنينة، وبعض يذهب في اللجاج، وغبي يعيش في ترف العيش، وذكي يبقى في البؤس والفacaة والحرمان.

هذه التأملات تدل على نفسية متعبة، مضطربة بائسة، بائسة، تنكرت لها الحياة وتغيرت بها الأحوال، حتى ضلت في سعيها، وخابت آمالها. كل ما قاله في هذا المجال يدلنا على حالة نفسية متعبة، بحثت عن المجد، ورست في نهاية الأمر على الرمال

(١) حصه: أسقط عنه ماله. انتضاه: سله وأخرجه. سد: شعر، ويقصد هنا جمیع المال.

المتحركة، فالتهمتها الرمال، وانهارت تحت وطأة الهموم
الكثيرة.

اسلوبه وخصائصه العامة :

قال ابن رشيق: «وقد قال العلماء بالشعر: إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوه، ولكنه سبق إلى أشياء، فاستحسنها الشعراء، واتبعوه فيها لأنه قيل أول من لطف المعاني، واستوقف على الطلول، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصيّ، وفرق بين النسب وما سواه من القصيد، وقرب مأخذ الكلام، فقيد الأوابد، وأجاد الاستعارة والتشبّيه» وهذا مأخوذ من ابن سلام إذ قال: «فاحتاج لامرئ، القيس من يقدمه، وليس أنه قال ما لم يقولوا، ولكن سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب، واتبعه فيها الشعراء، منها استيقاف صحبه، والبكاء في الديار، ورقة النسب، وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء والبيض، والخيل بالعقبان والعصيّ. وقيد الأوابد، وأجاد في التشبّيه، وفصل بين النسب وبين المعنى، وكان أحسن طبقته تشبّهًا».

وهناك آراء كثيرة للنقاد القدامى ، تعتبر امراً القيس أكثر المولدين والمبتكرين للمعاني . إذ اعتبره ابن رشيق «من وصافيَّ الخيل» عوضاً عن الغزل والنسيب وغير ذلك من الموضوعات التي أتينا على ذكرها في مجال كتابتنا عن امرئ القيس .

وأول ما يستوقفنا في شعر امريء القيس :

١ - التشبيه : وهو كثير في شعره . مثل :

أيقتلني والمشرفني مضاجعي
ومسنونة زرق كأننياب أغوال
فشبه نصال النبل بأنباب الأغوال . وهذا تشبيه شيء بشيء .
كأن قلوب الطير رطباً ويباساً
لدى وكرها العناب والخشف البالي
وهنا في هذا البيت تشبيه شبيه بشبيهين .

وكذلك يبرز التشبيه في موضع آخر :
له أيطلا ظبي ، وساقا نعامة
وارخاء سرحان ، وتقريب تنفل
فشبه أربعة بأربعة بدون أداة التشبيه .

٢ - الاستعارة : ويزر في قوله :

وليل كموج البحر أرخي سدوله
عليّ كامواج الهموم ليجتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه
واردف أعجزاً وناء بكلكل
فاستعار للليل سدولأ يرخيها ، وصلباً يتمطى به ، وأعجزاً

يردفها، وكلكلاً ينوه به. وقال الروماني : «الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة بيان لا تنوب منابة الحقيقة كقول امرئ القيس : **«قيد الأوابد»** .

ومن الاستعارة - المماثلة - كما يقول ابن رشيق : «ومن ضروب الاستعارة التمثيل ، وهو المماثلة عند بعضهم ، وذلك بأن تمثل شيئاً بشيء فيه استعارة نحو قول امرئ القيس . وهو أول من ابتكره ، ولم يأت أملح منه :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي
بسهميك في أعشار قلب مقتل

فمثل عينيها بسهمي الميسر ، يعني المعلى وله سبعة أنصباء ، والرقب وله ثلاثة أنصباء ، فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها . ومثل قلبه بأعشار الجزور . فتمنى له جهات الاستعارة والتمثيل » .

٣ - الكناية : قوله :
وببيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتعت من له وبها غير معجل
فقد كنى باليبضة عن المرأة .

٤ - الطباق : قوله :
مكر ، مفر ، مقبل مدبر معاً
كجلود صخر حطه السيل من عل

٥ - الجناس : مثل :

بلاد عريضة، وأرض أريضة
مدافع غيث في فضاء عريض
ويظهر الجناس في «عربيضة وأريضة».

٦ - المبالغة : وهي عند أبي هلال العسكري : «أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته. ولا تقتصر في العبارة منه على أدنى منازله. وأقرب مراتبه». ومنها :

من القاصرات الطرف لو دب مُحول
من الدرّ فوق الآتب منها لأنّرا

إن ديوان امرئ القيس مليء بالمحسنات الجمالية والبلاغية. وهذه النماذج للدلالة فقط على تلك الموضوعات الجمالية التي جاءت في ثنايا القصائد المهمة.

وبالرغم من تعصب بعض النقاد لامرئ القيس ، فإن بعضهم الآخر وقع على أخطاء وعيوب عنده.

ومن أهم هذه العيوب :

الخلاعة والمجون : قال ابن سلام : «وكان من الشعراء من يتأله في شعره، ولا يستهير بالفواحش، ولا يتهكم في الهجاء، ومنهم من كان ينعي على نفسه، ويتعهر، ومنهم امرؤ القيس والأعشى».

وقال ابن قتيبة: «وكان هذا العيب وصمة في جبين الشعر العربي عامة، إذ كان امرؤ القيس في طليعة أربابه».

لكن الواقع الذي انطلق منه النقاد يعاكس فهم التربية التي عاشها الشاعر، والتي أثرت في نفسيته، وفي شعره، إنه عاش مدللاً على هواه بين اللهو واللعب والعبث، فكانت هذه الأقانيم سمة من سمات التربية الأولى، فطبعت نفسه وشعره بهذا الثالث.

لكن الشعر يبقى شعراً وإن كان في موضوعات كهذه شرط أن يجيد الشاعر القول والتوصير، والتعبير الصادق في موضوعاته المختلفة. وهذا ما نجده في شعر الأمير الملهم. وهذا العيب الذي تسلح به القدماء ما هو إلا من جانب واحد، ألا وهو الجانب الأخلاقي. وهذا حكم مسبق على قول ما. وهنا يكمن الخطأ لأن جمال الشعر عنده كان في مستوى رفيع جداً وهذا ما جعل علماء البصرة يتمثلون بـ«شاعر امرئ القيس» وبهتمون به. ونحن بدورنا نحكم على الكلمة، على القول، وليس على تصرفات الإنسان.

وقد عاب بعض النقاد على امرئ القيس بعض المعنى حينما قال:

أغرك مني أن حبك قاتلي
وأنك مهمما تأمرني القلب يفعل

ويتراءى لي أن المحب - كالشاعر - عليه أن يتودد للمحظوظ بهذا الكلام وبهذه المعاني .

ونقف عند أقوال النقاد، لنجد أن معظمها أحكام عامة مثل هو: شاعر اليمن، وأشعر شعراً الجاهلية، أشعر الناس، أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة.

والبعض الآخر فضل له جزئية من الجزئيات، واعتبر تلك الجزئيات من الابتكارات والاختراعات والتوليدات. وهناك من وقف ضد هذا الشعر لما يتضمن من خلاعة وعيوب أخلاقية. لكن الحقيقة تبقى بين المؤيد والرافض. إن اهتمام الفتى من النقاد ما هو إلا دليل راسخ على أهمية شاعرنا الكبير.

إن نماذج امرئ القيس الشعرية مأخوذة من أحوال الإنسان والطبيعة ومظاهر البيئة المختلفة. لذلك نرى صوراً مختلفة من ألوان الحياة في عصره. كما نرى كثيراً من مظاهر الطبيعة الصحراوية. وعلى العموم فإن الصور الكثيرة والمختلفة التي رأينا منها الكثير في شعر امرئ القيس تدل على ذكاء وفطنة وقوة ملاحظة لدى الشاعر. إنه فنان صادق نقل المناظر واللوحات كما رأها في إبداع حتى جاء شعره رائعاً. موشياً بحس رقيق، وشعور مرهف.

أما الجانب النفسي فكان للشاعر نصيب كبير فيه، خاصة عندما واجهته الحياة بكل قسوتها، حيث يبلغ قمة شكوكه وتحسنه بعد

فشل في تحقيق أمنياته. في هذا الجانب تتجلّى النفس الحائرة التي أحاط بها البوس والشقاء، وحاصرها الهم واليأس. إنه إحباط الزمن، يرفع من يريد، ويذلّ من يريد، إنه نفس حائرة بعدها اصطدمت بحقائق مرة لم يكن يعرفها في فترة حياته الأولى. لقد ضاع أمله بضياع قومه، وهجرة الأعوان من حوله فتضعضع شأنه، وبالنهاية استسلم. وكانت في كل لحظة تعاوده لحظات أيامه الأولى، وذكريات الماضي الجميل، لكنها تعود لتختلط بأنين الحاضر وأزمانه المؤلمة. فكان شعره يمثل مرحلة القلق النفسي والاضطراب الذي لا حد له ولا حدود.

أما التعبير تلك الوسيلة التي اتخذها الشاعر ليترجم ما كان يجيش في صدره من عواطف وانفعالات. وحاول أن تكون تلك الترجمة معبرة عن شعوره ونفسه في صورة جلية واضحة ورائعة.

المعروف أن الفنون الجميلة تستعمل وسائل متعددة ومختلفة في التعبير لكن الأدب يستعمل وسيلة واحدة هي الألفاظ والعبارات والمعاني. أضف إلى ذلك الموسيقى والرنين الذي نسميه الجرس الموحي، الذي يحمل الوجودان على أجنة الكلمات. وحتى يكتب للأدب البقاء والاستمرار يجب أن تتنافى الموهبة مع الوسائل لتشكل عملاً فنياً متقناً بدقة.

والأدب بحد ذاته يستعمل تعبيرات مختلفة. فللشعر تعبيره، وللنشر كذلك. ولقد عرض امرؤ القيس فيه بشكل صور لوئنتها

عاطفة فنان ارتقى في فضاء الشعر الراحب حتى بلغ أقصى المرامي، بما استلهمه من الطبيعة والحياة من أمور ورموز وموضوعات، حركت شعوره وأثارت عاطفته، فاكتملت الحالة عنده، وكان شعره ركيزة وقاعدة ومنطلقاً.

وبعد التحليل الذي أتينا عليه، واستعرضنا فيه أفكار امريء القيس وصورة الكثيرة والمتنوعة. يمكننا أن نقول إنه امتلك زمام وسيلة التعبير الأدبي حينما يكون المجال ملائماً لميوله وطبيعته. والحقيقة أن التعبير كان يستعصي عليه إذا حاول أن يسير في غير اتجاهه الطبيعي.

وهذا التعبير عنده يساعدنا على عملية الكشف، كشف نفسية الشاعر وشخصيته المتصلة بموضوعات مختلفة كموضوع المرأة والصيد والطرد والشكوى والتحسر. وهذه الموضوعات كانت تلائم طبيعة الشاعر فجاءت رائعة جميلة، بعكس المدح والذم والتهديد والوعيد وال الحرب والفاخر، التي جاءت بشكل عرضي عنده مما يدل أن هذه الموضوعات بعيدة عن نفسه وحياته.

ومهما يكن من أمر فإن التعبير الفني عند امريء القيس يبين أن الشاعر يملك ملكرة لغوية، وثروة كبيرة من الألفاظ والعبارات التي يجيد التصرف بها، ويحسن رصفها وصنعها في دقة وإحكام. أضف إلى ذلك دقة الحس عنده، ورهافة الشعور، وتنظيم

موسيقي بلغ الجمال والأناقة . ونلاحظ حسن اختياره للألفاظ والعبارات حين استعملها في مواضعها الأصلية والصحيحة - إلا في أماكن نادرة - .

فالالفاظه تدل على سمو هذا الشاعر في فنه ، فهي سهلة ، سلسلة قوية ، تؤدي المعنى ، وتفيض المقصود في سهولة ويسر . وهي قريبة إلى الفهم إذ لا يجد السامع أو القاريء عناء كبيراً في معرفة معانيها ، لأنها ألفاظ عربية لانزال نستعمل معظمها حتى عصرنا الحاضر بالرغم من بعد الزمني بيننا وبين امرىء القيس ، أو العصر الجاهلي الذي هو أحد رواده .

أما من حيث التعبير عن أفكاره في موضوع أو موضوعات فهي تتشابه في طريقة العرض . ففي الموضوع الواحد كانت قصائده قصيرة تراوح بين بيتين ولا تتجاوز تسعة أبيات . وفيها يعرض الشاعر موضوعاً واحداً قد يكون مدحأ ، أو هجاء ، أو تهديداً ، أو رثاء ، أو وصفاً لمنظر ، أو تعبيراً واستجابة لحالة نفسية طارئة .

أما القصائد الطوال فهي عرض لأفكار متعددة وموضوعات مختلفة . والملاحظ أن الشاعر كان يسير فيها وفق منهج واحد ، وخطوة واحدة ، يكشف فيها عن نفسه ، وأحواله ، وطبيعته المتأثرة بكل ما يحيط بها . فكان يبدأ بماديات وقع عليها نظره ، وينطلق بعدها ليعبر عمّا تخلج نفسه . أما الماديات فهي الوقوف على الأطلال ، والمعامرات والوصف ، والأفكار النفسية كانت في

موضوع التحسن والشكوى. وكانت الأطلال بحد ذاتها تثير نفسية الشاعر. فتفاوض شاعريته ويتبادر عنها شعر جميل متعدد الموضوعات.

إنه شاعر منسجم مع نفسه، استعمل التعبير بما يتوافق مع نفسه وطبيعته وحسه. فجاءت الألفاظ والتعابير محملة بتنوع من الموسيقى والتنظيم والإيقاع. ويدل هذا على سعة أفق الشاعر، ورهافة حسه، ورقة شعوره وقوة شاعريته في الصياغة والخلق والعرض.

المعلقة

فَقَا تَبِكِ مِنْ ذَكْرِي حَبِيبٍ وَمِنْزِلٍ
بِسَقْطِ اللَّوِي بَيْنَ الدُّخُولِ فَخَوْمَلٍ^(١)
فَتُوضِحَ فَالْمَقْرَأَةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا
لِمَا نَسْجَتْهَا مِنْ جَنْوِبٍ وَشَمَائِلٍ^(٢)
تَرَى بَعْرُ الْأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا
وَقِيعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فَلْفَلٍ^(٣)
كَأَنِي غَدَةُ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمِلُوا
لَدَى سَمَرَاتِ الْعَيْ نَاقْفُ حَنْظَلٍ^(٤)

(١) السقط: الرمل المنقطع. اللوي: الرمل الذي يتلوى ويعوج. الدخول فخومل: مما موضعان.

(٢) فتوبيح فالمرة: موضعان. لم يعرف رسماها: لم يمنع اثراها.

(٣) العرصفات: الساحات.

(٤) غادة البين: صبيحة الفراق. تحملوا: ارتحلوا. السمرات: نوع من الشجر. ناقف حنظل: شديد العروبة.

وقوفًا بها صحيبي علىٰ مطئيهِ
 يقولون لا تهلك أَسْيَ، وتتحمل^(١)
 وإن شفائي عبرةٌ مُهراقةٌ
 فهل عند رسم دارس من معوّل^(٢)
 كدابك من أُمُّ الْحُوَيْرَةِ قبلها
 وجاراتها أُمُّ الرِّبَابِ بِمَأْسِلٍ^(٣)
 إذا قامتا تضُرُّعَ المِسْكُ منهما
 نسيم الصبا جاءت بريّاً الفَرَنْقل^(٤)
 ففاقت دموع العين مني صبايةَ
 على النهر حتى بلْ دمعي محملي^(٥)
 الا رُبْ يومٍ لك منهُنَّ صالحٌ
 ولا سِيْما يومٍ بدارة جُلْجُل^(٦)
 ويوم عَقَرْتُ للعذاري مَطَيْتِي
 فيما عَجَباً من رَحْلَها المَتْحَمِل^(٧)

(١) المطي: الإبل. تحمل: تحمل، وتجلد.

(٢) عبرة: النعمة.

(٣) كدابك: كعادتك، أُمُّ الْحُوَيْرَةِ وأُمُّ الرِّبَابِ: من صاحباته. مَأْسِل: اسم ماء.

(٤) تضُرُّع: فاح وانتشر.

(٥) الصباية: الشوق الرقيق. النهر: الصدر والعنق. المحمل: حمالة السيف.

(٦) دارة جلجل: موضع بالحبي له فيه قصة. ويروى أنه غدير ما لقي فيه امرؤ القبس محبوبته عزيرة.

(٧) عَقَرْت: نحرت. العذاري: البكر.

وَيَا عَجِباً مِنْ حُلُّهَا بَعْدَ رَحِيلِهَا
 وَيَا عَجِباً لِلْجَازِرِ الْمُتَبَذِّلِ^(١)
 فَظَلَّ الْعَذَارِي يَرْتَمِيَ بِلَحْمِهَا
 وَشَحْمَ كَهْدَابِ الدَّمْقُسِ الْمُفْتَلِ^(٢)
 تَذَارُ عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ صَحَافَنَا
 وَرُؤْتَنِي إِلَيْنَا بِالْعَبِيطِ الْمُثَمَّلِ^(٣)
 وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخَدْرَ خَدْرَ عَنْيَزَة
 فَقَالَتْ لِكَ الْوَيْلَاتِ إِنَّكَ مُرْجَلِي^(٤)
 تَقُولُ وَقَدْ مَا لَغَبَطْ بِنَا مَعَا
 غَفَرْتَ بِعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَانْزَلِ^(٥)
 فَقَلَتْ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زَمَامَهِ
 وَلَا تُبْعِدِنِي عَنْ جَنَّاكَ الْمَعْلَلِ^(٦)
 دَعَيَ الْبَكْرَ لَا تَرْثِي لَهُ مِنْ رَدَافَنَا
وَهَاتِي أَذْيَقِنَا جَنَّةَ الْقَرْنَفِلِ^(٧)

(١) إنه يعجب من حالته معهن.

(٢) الهداب: اسم لما استرسل من ثوب أو شعر. الدمشق: الإبريم الأبيض.

(٣) السديف: لحم السنام. العبيط المتمل: اللحم الطري.

(٤) الخدر: الهروج. مرجلة: أمشي على رجلي، غير راكبة.

(٥) الغيط: الهدوج ذاته هنا. عفرت بعيري: حرحته.

(٦) الجنى: الشر. ويعني هنا انتطاف حمرة خديها بالقبل، المعلل: الذي علل بالطيب.

(٧) أذيقنا جنة القرنفل: علينا برائحة فمك التي تشبه زهر الطيب. ويشك في نية هذا البيت إلى معلقة امرأة القيس.

بـشـفـرِ كـمـثـلِ الـأـقـحـوانِ مـنـيـر
 نـقـيـ الشـابـاـ أـشـبـ غـبـرـ أـشـعلـ^(١)
 فـمـثـلـكـ حـبـلـيـ فـذـ طـرـقـ وـمـرـضـعـ
 فـأـهـبـتـهاـ عـنـ ذـيـ تـمـائـمـ مـحـوـلـ^(٢)
 إـذـاـ مـاـ بـكـىـ مـنـ خـلـفـهـاـ اـنـصـرـفـ لـهـ
 بـشـقـ وـتـحـتـيـ شـقـهـاـ لـمـ يـحـوـلـ^(٣)
 وـسـوـمـاـ عـلـىـ ظـهـرـ الـكـثـيـبـ تـعـذـرـتـ
 عـلـيـ وـآـلـتـ خـلـفـةـ لـمـ تـحـلـ^(٤)
 أـفـاطـمـ مـهـلـاـ بـعـضـ هـذـاـ التـدـلـلـ
 وـإـنـ كـنـتـ قـدـ أـزـمـعـتـ صـرـمـيـ فـأـجـمـلـيـ^(٥)
 وـإـنـ كـنـتـ قـدـ سـاءـتـكـ مـنـيـ خـلـيقـةـ
 فـلـيـ ثـيـابـيـ مـنـ ثـيـابـكـ تـنـسـلـيـ^(٦)
 أـغـرـكـ مـنـيـ أـنـ حـبـكـ قـاتـلـيـ
 وـأـنـكـ مـهـمـاـ تـأـمـرـيـ القـلـبـ يـفـعـلـ^(٧)

(١) أـشـبـ : صـافـيـ الرـيـقـ، رـيقـهـ. غـبـرـ أـشـعلـ : لـمـ تـرـاكـبـ أـسـانـهـ.

(٢) فـوـتـمـائـمـ مـحـوـلـ : طـفـلـ رـضـيعـ عـمـرـهـ سـنـةـ أوـحـوـلـ.

(٣) بـشـقـ : بـقـسـ منـ جـسـدهـاـ.

(٤) الـكـثـيـبـ : الرـمـلـ الـمـرـفـعـ. تـعـذـرـتـ : اـمـتـعـتـ وـاعـتـدـرـتـ. وـآـلـتـ : أـنـسـتـ. لـمـ تـحـلـ : جـعـلـتـ بـعـينـهـاـ قـاطـعاـ.

(٥) التـدـلـلـ : الدـلـالـ. أـزـمـعـتـ : عـزـمـتـ وـقـرـرتـ. صـرـمـيـ : هـجـرـيـ.

(٦) سـاءـتـكـ : آـذـتـكـ. خـلـيقـةـ : طـبـيعـةـ. ثـيـابـيـ : كـنـايـةـ عـنـ قـلـبـهـ. تـنـسـلـ : تـخـرـجـ.

(٧) أـغـرـكـ : أـحـمـلـكـ عـلـىـ الـأـغـرـارـ بـيـ أـنـ حـبـكـ قـدـ بـرـحـ بـيـ حـتـىـ كـادـ يـقـتـلـيـ.

وأنك قَسَّمتِ الفَرَادَ فَنَصَفْتُ
قَبِيلٌ وَنَصَفٌ فِي حَلِيدٍ مَكَبَلٌ^(١)
وَمَا ذَرْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضَرِّبِيُّ
بِسَهْمِكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبِ مَقْتَلٍ^(٢)
وَبِسِيَّضَةِ خَذْرٍ لَا يَرَأُمُ خَبِيلَهَا
تَمْتَعْتُ مِنْ لَهْوِيهَا غَيْرِ مَعْجَلٍ^(٣)
تَجَاوِزْتُ أَحْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَعْشَرًا
عَلَيَّ جَرَاصًا لَوْيَسْرُونَ مَقْتَلِي^(٤)
إِذَا مَا ثَرِيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضْتُ
تَعَرَّضْتُ أَثْنَاءِ الْوَشَاحِ الْمَفَصُلِ^(٥)
فَجَثْتُ وَقْدَ نَضْتُ لِنَوْمِ ثَيَابِهَا
لَدِيِّ السُّرِّ إِلَالْبَسَةِ الْمَتَفَضُلِ^(٦)
فَقَالَتْ: يَعْمَلُ اللَّهُ مَالِكُ حَيَّلَةٌ
وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْفَوَابَةَ تَنْجَلِي^(٧)

(١) ونصف في حديد: هو النصف الواقع بأشراك حبها.

(٢) ذرفت: دمعت. بسهمیك: بعینیك. أعشار قلب: أجزاءه.

(٣) وبيبة خدر: امرأة مصونة في خدرهـ معجل: غير خائف.

(٤) تجاوزت أحراصاً: مررت بحراسها وأهلها الحريمين على قتلي لواستطاعوا ذلك. الحراس: جمع حريم.

(٥) الثريا: الجوزاء . الآثناء: النواحي . يقول: تجاوزن إليها في وقت إيداعه
الثريا عرضها بالسماء كإيداع الوشاح الذي فصل بين جواهره وخرزه بالذهب .

(٦) نضت: خلعت. المتفضل: الذي يرتدى ثوباً واحداً.

(٧) اليمين: القسم. الغواية: الضلال. الانجلاء: الانكشاف.

خرجمت بها أمشي تجرُّ وراءنا
 على أثرينا ذيل مِرْط مرجل^(١)
 فلما أجزنا ساحة العيَّ وانتحى
 بنا بطن خَبَت ذي حِفاف عقنقيل^(٢)
 هضرت بفودي رأسها فتمايلت
 على هضيم الكشح ريا المخلخل^(٣)
 إذا التفت نحوه تضرع ريحها
 نسيم الصبا جاءت بريأة القرنفل^(٤)
 إذا قلت هاتي نوليني تمايلت
 على هضيم الكشح ريا المخلخل^(٥)
 مهفهفة بيضاء غير مفاضة
 ترائيها مصقوله كالسنجبل^(٦)

(١) المرط: ثوب يشبه الملاءة. مرجل: المتنفس بنقوش تشبه رحال الإبل.

(٢) أجزنا: قطعنا. انتحى: مال واعترض. البطن: مكان مطعن حوله أماكن مرتفعة. والخبت: أرض مطمئنة. الحقف: الرمل المشرف المعرج.

(٣) هضرت: جذبت. الفودان: جانب الرأس. هضيم الكشح: ضامرة الوسط. المخلخل: يعني الساق وهو مكان الخلخل.

(٤) تضرع: فاح وانتشر. ريا القرنفل: ربيع زهر من أنواع الأفانيه.

(٥) نوليني: أعطبني «يشك في نسبة هذا البيت إلى امرأة القيس».

(٦) مهفهفة: خفيف اللحم ليست برهلة ولا ضخمة البطن. المفاضة: المسترخية. البطن. التراب: موضع القلادة من الصدر. كالسنجبل: كالمرأة.

تَصْدُّ وَتَبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَنْقِي
 بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجْرَةٍ مُطْفَلٍ^(١)
 وَجِيدٌ كَجِيدِ الرَّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ
 إِذَا هِي نَصَّهُ وَلَا بِمَعْطَلٍ^(٢)
 وَفَرعٌ يَزِينُ الْمَتَنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ
 أَثَيْثٌ كَفْنُو النَّخْلَةِ الْمُتَعْكِلٍ^(٣)
 غَدَائِرَهُ مُسْتَشِزَرَاتٍ إِلَى الْعَلَا
 تَضْلُّ الْمَدَارِي فِي مُثْنَى وَمَرْسَلٍ^(٤)
 وَكَشْحَنْ لَطِيفٌ كَالْجَدِيلِ مُخَضَّرٍ
 وَسَاقٌ كَأَنْبُوبِ السَّقِّيِ الْمَذَلِلٍ^(٥)
 وَتَضْحِي فَتِيتُ الْمَسْكِ فَوْقَ فَرَاشَهَا
 نَوْمٌ الصُّبْحِي لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضِيلٍ^(٦)

(١) تَصْدُّ: تَعْرُضُ. الصَّدُّ: الْصَّرْفُ وَالْمَدْفَعُ. تَبْدِي: تَظَاهِرُ. أَسِيلٌ: خَدْ طَوِيلٌ.
الْمُطْفَلُ: الْتِي لَهَا طَفْلٌ.

(٢) الرَّئْمُ: الظَّبِيُّ الْغَالِصُ الْبَيْاضُ. الْفَاحِشُ: مَا تَجاوزَ الْقَدْرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.
نَصَّهُ: رَفْعَتْهُ . مَعْطَلُ: غَيْرُ مَعْطَلٍ عَنِ الْحَلِيِّ.

(٣) الْفَرعُ: الشَّعْرُ النَّاَمُ. فَاحِمُّ: شَدِيدُ الْسَّوَادِ. أَثَيْثٌ: الْكَثِيرُ. الْمُتَعْكِلُ:
النَّخْلَةُ الَّتِي خَرَجَتْ عَنِ الْكِلَمَانِ أَيْ قَنَواتِهَا.

(٤) الْفَدَائِرُ: جَمْعُ غَدِيرَةٍ وَهِيَ الْخَصْلَةُ مِنَ الشِّعْرِ. مُسْتَشِزَرَاتٍ: مُرْتَفَعَاتٍ.

(٥) الْكَشْحَنْ الْلَّطِيفُ: الْخَصْرُ النَّجْبَلُ الْحَسَنُ. مُخَضَّرٌ: دَفِيقُ الْوَسْطِ. السَّقِّيِ الْمَذَلِلُ:
النَّخْلُ الْمَسْقِيُ الْمَذَلِلُ بِالْأَرْوَاءِ.

(٦) تَضْحِي: الإِضْحَاءُ مَصَادِفَةً الصُّبْحِيِّ. فَتِيتُ الْمَسْكِ: مَا نَفَتَ مِنْهُ.

لَمْ تَنْتَطِقْ: لَمْ تَشَدْ نَطَافًا لِلْعَمَلِ. عَنْ تَفْضِيلٍ: عَنْ ثَوْبِ النَّوْمِ.

وتعطوا برخصٍ غير ششن كأنه
 أساريعُ ظبي أو مساويك أسلحٌ^(١)
 بكُّر المقامات البياض بصفرة
 غذَاها نمير الماء غير المخلل^(٢)
 تُضيءُ الظلام بالعشاء كأنها
 مَنَارَةٌ مُمسِي راهب متبتل^(٣)
 إلى مثلها يرْئُو الحليم صَبَابَةٌ
 إذا ما اسْبَكَرَتْ بين درعٍ ومجولٍ^(٤)
 تسلَّتْ عمَایات الرُّجَال عن الصُّبا
 وليس فؤادي عن هواها بمنسل^(٥)
 الأَرْبُّ خضمٌ فيكَ الْوَى ردته
 نصيبح على تعذاله غير مؤتل^(٦)

(١) تعطوا: تتناول. الرخص: البناء الناعم. الششن: الغليظ. أسلح: شجر تأخذ من فروعه مساويك كالأراك.

(٢) بكُّر: كيضة النعامة أول ما تبيض. المقامات: التي خالط بياضها صفرة وحمرة.

(٣) المنارة: يقصد بها سراج الراهب.

(٤) يرْئُون: ينظرون. اسْبَكَرَتْ: طالت وامتدت. درع: قميص المرأة.

المجول: ثوب الجارية الصغيرة.

(٥) تسلَّتْ: من السلوأي الزول. العمایات: الجهة. بمنسل: تارك.

(٦) خصم الْوَى: شديد الخصومة. العذل: اللوم. مؤتل: مقصر.

وليلٌ كموج البحر أرخي سدوله
 عليٌ بأنواع الْهُمُوم ليُبَتِّلي^(١)
 فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمْطَلَّ بِعَصْلَبِي
 وَأَرْدَفْتُ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّكُلِّ^(٢)
 إِلَّا إِيَّاهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ إِلَّا اِنْجِلِي
 بَصُّبُحَ وَمَا الإِصْبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ^(٣)
 فِي الْكَمْلَكِ مِنْ لَيْلٍ كَانَ نَجُومَهُ
 بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبَلِ^(٤)
 كَانَ الشَّرِيَا عَلَقْتُ فِي مَصَابِهَا
 بِسَامِرَاسِ كَتَانَ إِلَى صُمِ جَنْدَلِ^(٥)
 وَقَرْبَةُ أَقْوَامٍ جَعَلَتْ عَصَامَهَا
 عَلَى كَاهِلِ مِنِي ذَلْلُولِ مَرْخَلِ^(٦)
 وَوَادِ كَجَوفِ الْعِيرِ قَفْرَ قَطْفَتِهِ
 بِهِ الذَّئْبُ يَعْوِي كَالخَلْيَعِ الْمَعِيلِ^(٧)

(١) سدوله: ستوره. الإرخاء: إرسال السترة وغيرها. الابتلاء: الاختبار.

(٢) تمطل بعصله: تعلق بجسمه او بعصله، وهو ظهره. واردف اعجازاً: تابع اواخره بأوائله. ناء بكلكل: خط بصدره.

(٣) بامثل: بأفضل، أي ليس الإصلاح فيك بأفضل من الآباء.

(٤) مغار الفتل: العجل المقتول جداً. يذبل: اسم جبل.

(٥) الشريا: نجم في السماء. مصابها: مواضعها. صم جندل: حجارة صماء.

(٦) وقربة أقوام: ورب قربة أقوام. القربة: وعاء من الجلد يحمل فيها الماء، مصابها: حيالها. ذلول: معتادة على العمل.

(٧) العير: الحمار الوحشي. الخليج المعيل: هو الذي تبرأ منه قومه وتغفر لهم، أي أنه ذو عيال ومقر.

فَقُلْتُ لِهِ لَمَّا عُوِي إِذْ شَائِنَا
 قَلِيلٌ الْغَنِي إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّل١)
 كَلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاهَةً
 وَمَنْ يَحْتَرُثْ حَرْثَنِي وَحْرَثَكْ يَهْزَل٢)
 وَقَدْ أَغْتَدِي وَالْطِيرُ فِي وَكَنَاتِهَا
 بِمُنْجَرِدِ قَبْنِدِ الْأَوَابِدِ هَبِيكَل٣)
 مَكْرُّ مَفْرُّ، مُقْبِلٌ مُدِيرٌ مَعَا
 كَجُلْمُودِ صَخْرٌ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَل٤)
 كَمْيَتْ يَزِلُّ اللَّبَدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ
 كَمَا زَلَّتِ الصَّفَوَاءِ بِالْمَتَنْزِل٥)
 عَلَى الْعَقْبِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتَزَامَهِ
 إِذَا جَاهَشَ فِيهِ حَمِيمٌ غَلِي مَرْجَل٦)

(١) يقول للذنب: إبني في حالي هذه وانت كما أنت كلانا لا يعني عن صاحبه شيئاً.

(٢) أفاهة: فوتة على نفسه. من يحرث حرثني وحرثك: من يسع سعي وسعيك يهزل، أي عاش مهزول العيش.

(٣) أغتندي: أخرج مع نباشير النهار. وكتناها: أوكرارها. المنجرد: الفرس التصريح بالشعر. الأوابد: الوحوش. الهيكل: يعني الفرس القوي.

(٤) جلمود: الصخر الأصم. من عل: من مكان عال.

(٥) كميـتـ: لون بين الحمرة والسودـ. الصـفـوـاءـ: الصـخـرـةـ المـلـسـاءـ. المـتـنـزـلـ: السـيـلـ.

(٦) العقب: الجري المتـعـاقـبـ. اهـتـزـامـ: صـوتـ الانـدـفـاعـ. المـرـجـلـ: الـقـدـرـ.

مَسْعَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنِي
 أَثْرَنْ غُبَاراً بِالْكَدِيدِ الْمَرَكَلِ^(١)
 يُزَلِّ الْفَلَامُ الْخَفَّ عن صَهْوَانِه
 وَلَوْيَ بِأَشْوَابِ الْعَنِيفِ الْمَتَقْلِ
 دَرِيرَ كَخْذَرُوفَ الْوَلِيدَ أَمْرَةَ
 تَقْلُبُ كَفَيْهِ بِخَبِيطِ مُؤَصَّلِ^(٢)
 لَهُ أَيْطَلَا ظَبَّيِ وَسَاقَا نَعَامَةَ
 وَارْخَاءَ سَرْحَانَ وَتَقْرِيبُ تَنْفَلِ^(٣)
 ضَلِيلُعَ إِذَا مَا اسْتَدَبَرَتِهِ سَدَ فَرْجَهِ
 بِضَافِ قَوْيَقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ^(٤)
 كَانَ سَرَائِهِ لَدِي الْبَيْتِ قَائِمًا
 مَذَاكُ عَرَوْسُ أَوْ صَلَايَةُ حَنْظَلِ^(٥)

(١) السابحات: الخيل تجري كأنها تسبح. الوني: الإعياء والتعب. الكديد: الأرض الصلبة. المركل: الذي داسه الخيل وركلته.

(٢) الدرير: من ذر، يقال درت الناقة اللبن، الدرير هنا بمعنى الدار. خذروف: لعبة من لعب الأطفال. الوليد: الصبي.

(٣) الأيطل: الخاصرة. الإرخاء: ضرب من عدو الذئب. السرحان: الذئب. تنفل: ولد الذئب.

(٤) ضليل: قوي الأضلاع. استدبرته: نظرت إليه من الخلف. سد فرجه: رأيت ذنبه الطويل قد سد ما بين الفخذين.

(٥) سرائه: أعلى ظهره. مذاك عروس: حجر يسحق عليه الطيب للعروس. صلابة: حجر يدق عليه حب الحنظل.

فَعْنَ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَةً
 عَذَارِي دُوَارٌ فِي مَلَاءِ مُذَيْلٍ^(١)
 فَادْبَرَنَ كَالْجَزْعِ الْمُفَصَّلِ بَيْنَهُ
 بِجَيدٍ مَعْمَ فِي الْعَشِيرَةِ مُخَوْلٍ^(٢)
 فَالْحَقَّنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ
 جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةِ لَمْ تُزَيِّلَ^(٣)
 فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثُورٍ وَنَعْجَةً
 دَرَاكَأَ وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فِي غَسْلٍ^(٤)
 فَظَلَّ طُهَاءُ الْحَيِّ مِنْ بَيْنِ مُنْضَحٍ
 صَفِيفٌ شَمَوَاهُ أَوْ قَدِيرٌ مُعْجَسِلٍ^(٥)
 وَرَخَنَا وَرَاحَ الْطَرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ
 مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِ تَسْهُلٍ^(٦)

(١) عَنْ: عرض. السرب: قطيع البقر الوحشي. النعاج: البقر الوحشي. الملاء المذيل: الثياب الطويلة الذيل.

(٢) أدبر: الإدبار تقبيض الإقبال. الجزع: الخرز اليماني. الجيد: العنق. المخول: الكريمة الأخوال.

(٣) الهدائيات: طلائع الوحوش. الجواهر المتحلفات. الصرة: الصبحة. لم تزيل: لم تفرق.

(٤) عادى: والي الجري. دراكأ: سريعاً. لم ينضج: لم يعرق.

(٥) الطهاء: الطباخون. صفيف شواه: شرائح لحم مشوي. أو قدير: مطبوخ في القدر.

(٦) الطرف: النظر. القصور: العجز. الترقى: الارتفاع. تسفل: تنظر إلى أسفله.

كأن دماء الهدىات بنحره
 عصارة حناء بثيب مرجل^(١)
 وبات عليه سرجه ولجامه
 وبات بعيني قائماً غير مرسل^(٢)
 أصالح ثرى برقاً أريك وميضه
 كلمنع اليدين في حبي مكلل^(٣)
 يضيء سناء أو مصابيح راهب
 أهان السليط في الذبال المفتل^(٤)
 قعدت وأصحابي له بين ضارج
 وبين العذيب بعذب ما متامي^(٥)
 علا قطناً بالشيم أيمن صوته
 وأيسره على الستار فيذبل^(٦)

(١) الهدىات: أوائل البقر الوحشية التي صادها. عصارة حناء: يعني أن ماء العناه في الشعر الشائب كالدم في نحره.

(٢) بات بعيني: بحيث أراه مسرجاً ملجمًا، قائمًا بين يدي غير مرسل إلى المراعي.

(٣) أصالح: يا صاحبي. أريك وميضه: أبصرك لمعانه. حبي مكلل: سحاب متراكم.

(٤) سناء: صوته. مصابيح راهب: سرجه وقنايله. أهان السليط: أكثر من الزيت. الذبال: الفتيلة.

(٥) قعدت وأصحابي: لهذا البرق أنظر إليه. ضارج: ماء بارض طي، العذيب: ماء قريب منه.

(٦) قطن والستار ويدبل: أسماء جبال. بالشيم: بالنظر إلى البرق، صوته: مطره.

وأضحى يُسْعِ الماء عن كل فِيَّقةٍ
 يَكُبُّ على الأذقان دُوْخَ الْكَنْهَلِ^(١)
 كَأَنْ مَكَاكِيَ الْجَوَاءِ غُذَيَّةٌ
 صُبْحَنَ سُلَافًا من رحِيقِ مَفْلَفْلِ^(٢)
 وَمَرَّ على القَنَانِ مِنْ نَفِيَانِهِ
 فَانْزَلَ مِنْهُ الْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مَوْتَلِ^(٣)
 وَتَيْمَاءٌ لَمْ يَشْرُكْ بِهَا جَذْعُ نَخْلَةٍ
 وَلَا أَطْمَاءٌ إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلِ^(٤)
 كَأَنْ أَبَانَا فِي أَفَانِينِ وَذِقَّهِ
 كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بِجَادِ مَزَمْلِ^(٥)
 كَأَنْ ذَرَى رَأْسِ الْمَجِيمِرِ غُذْوَةٌ
 مِنْ السَّيْلِ وَالْأَغْنَاءِ فَلَكَةٌ مَغْزَلِ^(٦)

(١) يُسْعِ: يصب. الذقن: مجتمع للحيتين. الدوحة: الشجرة العظيمة. الكنهل: ضرب من شجر الباذنة.

(٢) الماككي: نوع من الطير. الجواء: موضع بنجد. سلاف الرحيق: عصارة الخمر الصافية.

(٣) مر على القنان: مرّ هذا الصحاب على جبل القنان في بلادبني اسد بن خزيمة. من نفيانه: ما نفى من قطره. العصم: الأوعال. من كل موئل: من أماكنها الشامخة الحصينة المعتصمة بها في أعلى الجبال.

(٤) تيماء: مدينة في العجاز. الأطم: الحصن. المشيد بجندل: مبني بالحجارة.

(٥) أبان: اسم جبل: البجاد: الكفاء المخطط. مزمل: ملتف.

(٦) المجيمر: جبل. الأغناء: ما يحمله السيل من بقايا الأشياء.

كأن سباعاً فيه غرقى عثية
 بأرجائه القصوى أنا ييش عنصل^(١)
 وألقى بـصحراء الغبيط بـ ساعه
 نزول اليماني ذي العياب المحمل^(٢)

تعتبر معلقة امرىء القيس من الملعقات المهمة في تاريخنا الأدبي . وهي نموذج صادق لفترة العصر الجاهلي الذي نشأت فيه الملعقات ، والتي اعتبرت وثيقة صادقة تشمل كل وجوه الحياة الثقافية فيها والاجتماعية ، الفكرية والفنية . وبما أن الشعر « كان ديوان العرب والمنظوم من كلامها والمقيّد لأيامها والشاهد على حكمها ». فإنه بالنسبة لنا صفحة معرفة ، نحاول من خلالها التعرف على فكر قوم أسسوا وبنوا هذا التراث . والحكم على ما وصلنا لا يكون إلا بالرجوع إلى البيئة والزمن الذي عاش فيه الشاعر .

والحقيقة إن دراسة المعلقة ، معلقة - امرىء القيس -، بشكل منفرد كان واجباً أدبياً، لأننا رأينا فيها صورة عامة عن ملامح العصر والبيئة ، وعن الصفات الفنية والمعنوية التي تحكم بالشعر الجاهلي . وهي آخر دفعنا لهذا العمل ، هو أن المعلقة تشمل

(١) أنا ييش عنصل : أصول العنصل ، وهو البصل البري .

(٢) صحراء الغبيط : الحزن من الأرض . ساعه : ثقله . ذي العياب : صاحب الأعدال المعلومة نيباً ويزأ .

معظم الأغراض الشعرية التي أتبنا عليها في دراستنا، وكذلك تشبه إلى حد كبير معظم ما وصلنا من نتاج الشعراء الجاهليين. لهذه الأسباب أفردنا الجزء الأخير من الدراسة للمعلقة، لنرى النظام والمعاني والمواضيعات التي حملتها، ولو بشكل موجز.

وأول ما يلفت نظر الباحث في الشعر الجاهلي ، نظام القصيدة الذي أصبح سُنة وقانوناً لدى معظم الشعراء الجاهليين من :

١ - الوقوف على الأطلال: سمة من سمات الشعر الجاهلي ، وتقليداً يندر من يشذ عنه . بل إنه فرض تقليد على العصر العباسي حيث لا دمن ولا أطلال . وقد حملت لنا الروايات أن أمراً القيس هو «أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى ، وذكر الديار والحبية». ويزخر المقطع الطليلي في بداية القصيدة، إذ يذكر الأماكن التي ارتادتها الحبيبة ، وأصبحت في اللحظة ملعبة للريح ، وفسحة للذكريات . وبدأ وكأن عاصفة من الوجد اجتاحت مسام حياته ، طالباً من صديقين معه بالوقوف ، ليذرف الدموع على تلك الديار الخالية إلا من بعض الآثار المتروكة للريح وللزمن .

٢ - ذكر الحبيبة : يؤكد رأينا أن الحبيبة عنده هي أشبه بحلم ، خاصة في فترة حياته الأولى ، التي عاش فيها المللذات واللهم ، وعدم المسؤولية . وربما تكون أسماء الحبيبات الكثيرات عنده ، صفة لموصوف واحد ، كي يبعد الأنطوار عن المعنى المقصود ، خوفاً من غضب العشيرية .

٣ - الغزل: إذ تناول كل جميل في المرأة، وساقه إلينا بشكل يوحى بأنه ملتهب الشعور تجاه حبيبته؛ ويمثل هذا حادثة دارة جلجل التي أتينا على ذكرها في ثنايا البحث والدراسة.

٤ - السرد القصصي: وتبرز هذه السمة في مجمل المعلقة، سواء في وصف الطلول، أو في ذكر اليوم الصالح، أو في دخول الشاعر خدر عنبرة، أو في مغامراته الغرامية التي لا حد لها ولا حصر. ويعبر عنه بشكل حوار منظم «فقالوا لك.. يقولون لا نهلك.. فقالوا لك الويلاط.. تقول وقد مال الغيط... أباطم مهلاً.. فقالوا عين الله».

٥ - التصوير المادي: يقال إن الشاعر ابن بيته. وهذا صحيح، خاصة إذا تمثّلنا الشعر الجاهلي. فالبيئة المادية القاسية كانت تفرض نفسها بكل جزئياتها على الشاعر. وسرعة الحركة والتسلق، وكثرة الحروب والأيام والغزوات، طبعت الشاعر بتلك الصفة المادية، وأبعدته عن الشمول والتفكير بالكلمات العامة. فكانت أشعاره صورة أمينة للواقع المعاش ولذا كان التصوير المادي هو الغالب على الشعر الجاهلي. ويبرز في المعلقة بوصف الأطلال التي لم يعرف رسمها تحديد الأمكنة بدقة، وقف الشاعر أمام الأشجار كناقد الحنظل، دموع العين وقد فاضت على النحر حتى بللت محمل السيف، العذاري المرتيمات في اللحم أو الشحم.. الخ..

٦ - الوصف:

أ - الليل.

ب - الرحلة والأمكنة التي مرّ بها.

ج - الحيوانات البرية.

د - الصيد.

هـ - الحصان، أو الفرس، أو الناقة.

و - نهاية الرحلة وحلقات الشواء.

٧ - الدقة في استعمال المفردات: لقد أتى بالمفردات الدالة

المعبرة. وإن لفظ - نسجتها - خير ما يمكن أن يعبر عن حركة الريح التي تهب تارة من الشمال إلى الجنوب وأخرى من الجنوب إلى الشمال. وكذلك لفظة - يرتمين - في قوله «فضل العذارى يرتمين بلحهما» تدل على مدى غبطة الفتيات وانصرافهن إلى الطعام وإلى مهاداته بينهن. وقد أخذنا هاتين اللفظتين لتبیان الدقة في استعمال المفردات كمثل فقط، مع العلم أن كل ما استعمل دال، واضح.

٨ - كثرة التشابيه المادية: فشحم الناقة كهداب الدمشق المفتل. وترائب الحبيبة كالسجنجل، وضياء وجهها كنور مصباح الراهب، والحصان كجلמוד صخر حطه السيل من عل، وتغراها كالاقحوان. وكل هذه التشابيه حسية ومادية، مأخوذة من بيئته الافت بكل كلها على فن القول عند الشاعر، وجعلته يصورها بأبهى ما يكون.

ومثل ذلك نرى الاستعارات، والكتابات. فالاستعارة المادية بارزة في قوله مثلاً حينما استعار - الهمين - لعيني الحبيبة. والأعشار للقلب المنكسر. والتكنية نبؤوم الضحى عن غناها وتنعمها.

والملاحظ أن امرأ القيس لم يكن يسرف في الصناعة. ولم يتكلف المعاني ولا الصور ولا التعبير. وإنما كانت الطبيعة والسلبية والواقع رواداً له ومميزة في شعره. أضف إلى ذلك السهولة في نظمه وقوله وإنشاده. وإذا كان هنالك من صعوبة في فهم بعض الأشعار فمرد ذلك إلى الألفاظ التي كانت شائعة ومفهومة في العصر الجاهلي، ولم تعد اليوم متداولة.

٩ - تفكك القصيدة: أو انعدام الوحدة: فهي لوحات متعددة الصور والموضوعات، وكل واحدة مستقلة بمعناها عن الأخرى، أما التفكك في الأبيات واضح وجلي إذ نستطيع التقديم والتأخير في الأبيات من دون أن يتغير المعنى، ومن دون أن يحدث أي خلل في بناء القصيدة. ويُفسرُ ذلك بضعفِ الثقافة عند الجاهليين، وشروع الفطرة والبداهة في جميع مجالات الحياة عندهم. والمعروف أن البدوي في تلك المرحلة لم يعرف البناء، والحياة الاجتماعية، والاستقرار النفسي والاجتماعي والعمري، لذلك لم يستطع أن يعطي ويبني قصيدة متماسكة.

في هذه المعلقة نقف أمام صورة - أو صور - لبيئة الحياة

الجاهلية فيها الدلالة على حياة بدوية سريعة الانتقال، لا تعرف الاستقرار لحظة. ويتم الترحال في صحراء قاسية واسعة الأطراف والمرامي، مهجورة ترتع فيها غزلان وظباء ووحوش، ويمرح فيها شذاذ وقتلة وصعاليك. فحياته، انتقال، وخوف دائمين.

وكلمة أخيرة هي أن امرأ القيس سبق الشعراء إلى أشياء ابتدعها حازت الرضا والاستحسان. وخط للشعراء سنة ساروا من بعدها عليها منها: الوقوف على الأطلال، والبكاء على الديار، والأثار الباقية، والغزل الرقيق، والنسيب اللطيف، والتشبيه الجميل، والكتابية الحسنة والوصف المبدع. مما جعله أجود الشعراء فيما طرقه من أبواب وابتكره من سنن، وابتدعه من المعاني.

نماذج من شعر أصري، القيس

قال امرأ القيس يصف الوحش وصيده له:

غشيت ديار الحي بالبكرات
فارامة فبرقة العيرات^(١)
فغول فحليت فاكناف منبع
إلى عناقل فالجَب ذي الأمرات^(٢)
أرن على حُقْب حيال طرفة
كذود الأجير الأربع الأشرات^(٣)

(١) غشيت: نزلت. البكرات: جمع بكرة، وهي مياه لبني ذوبية من الصباب عندها جبال عالية يقال لها البكرات. عارمة: مياه لبني تميم. العيرات: الحمر الوحشية.

(٢) غول: ماء للصباب بجوف طخفة. حلبت: معدن عند جبال ضربة فيه ذهب. الأمرات: العلامات.

(٣) أرن: نعف. الحقب: الأتن الوحشية. الأشرات: الغويات، النشطات.

عنيف كتجمّع الضرائر فاحش
 شتيم كذلُق الرُّزْج ذي ذمرات^(١)
 وسأكلن بُهْمِي جمدة حبشيَّة
 ويشربن برد الماء في السيرات^(٢)
 فأوردها ماء قليلاً أنيسَةً
 يُحاذرن عُمراً صاحب القرارات^(٣)
 تَلَتُ الحصى لَنَا بُسْمَر رزينة
 موازن لا كُزْم ولا معرات^(٤)
 ويرخين أذناباً كان فروعها
 عُرَى خلل مشهورة ضفرات^(٥)
 وغُنس كالسواح الإران نسائها
 على لاحب كالبرد ذي العبرات^(٦)

(١) فاحش: متجاوز العد في عنفه. شتيم: كريه المنظر. ذمرات: صاحب زجر بشدة.

(٢) البهُمِي: نبت. جمدة: ندية. حبشيَّة: شديدة الخضراء. السيرات: الغدوات الباردة.

(٣) عمرو: هو ابن الشيخ الثعلبي، وكان من أرمي العرب. القرارات: جمع قترة. وهو بيت الصائد الذي يختفي فيه ثلاثة يراء الوحش فينفر منه.

(٤) تلت الحصى لنا: تسحّقه وتخلطه. السمر: يربد بها الحوافر. رزينة: نقيلة. لا كُزْم: غير قصار. ولا معرات: ولا مuroط شعورهن.

(٥) برخين: يسلن. ضفرات: مجدولات.

(٦) عنف: ناقة قوية. الإران: خشب صلب. نسائها: زجرتها. اللاحب: الطريق. البرد ذو العبرات: الثياب اليمنية الموشّحة.

فغادرتها مِنْ بَعْدَ بَذْنَ رُوَيْةَ
 تفالي على عَوْج لَهَا كَدَنَاتٍ^(١)
 وأبِيض كالْمُخْرَاقِ بَلْيَتْ حَذَّةَ
 وَهَبْشَهُ فِي السَّاقِ وَالْقَصَرَاتِ^(٢)

وقال امرؤ القيس وهو بعيد عن أهله ودياره:
 ألا أبلغ بنبي حُجَرَ بْنَ عَمْرُو
 وأبلغ ذلك الحَيِّ الْجَدِيداً^(٣)
 بِأَنِّي قَدْ هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمٍ
 بَعِيدًا عَنْ دِيَارِكُمْ بَعِيدًا^(٤)
 وَلَوْ أَنِّي هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمٍ
 لَقُلْتُ الْمَوْتُ حَقٌّ لَا خُلُودًا^(٥)
 أَعْالَجُ مُلْكَ قَيْصَرَ كُلَّ يَوْمٍ
 وَأَجْدُرُ بِالْمَنْيَةِ أَنْ تَقُودَا^(٦)

(١) البدن : السنة. روية: هزيلة. العوج: يزيد بها قوانها. كدنات: غلاظ قوية.

(٢) أبيض: البيف. المخراق: المتنديل. القصرات: الأعناق.

(٣) بنو حجر: قوم امرئ القيس ورهطه الأدرين. الجديد: المقطوع، ويرى في الجديد، وهو القوي الشديد.

(٤) هلكت: يزيد هنا أو شكت على الهاك.

(٥) يعني لو كان هلاكه بين أهله لامن بأن الموت حق، وإن لا خلود في الحياة. على أنه لا بقاء ولا خلود سواء أكان بين أهله أم كان بعيداً عنهم.

(٦) أعالج: أحاول وأطلب. أجدر: أولى. أن تقوذ: أن تذهب بي إلى حيث المصير الذي صار إليه آبائي وأجدادي.

بِأَرْضِ الرُّومِ لَا نَسْبٌ قَرِيبٌ
 وَلَا شَافٌ فِي سِنْدٍ أَوْ يَعْوُدًا^(١)
 وَلَوْ صَادَفَتْهُنَّ عَلَى أَسْيَسٍ
 وَحَاقَةً إِذْ وَرَدَنَ بَنَا وَرُودًا^(٢)
 عَلَى قُلُصٍ تَظُلُّ مُقْلَدَاتٍ
 ازْمَتْهُنَّ مَا يَعْدَقُنَّ عُودًا^(٣)

وقال أمرؤ القيس في وصف الغيث:

دِيمَةُ مَطَلَاءِ فِيهَا وَطَفَ
 طَبَقَ الْأَرْضَ تَجْرِي وَتَدْرُ^(٤)
 تُخْرُجُ الرَّوْدَ إِذَا مَا أَشَحَّذَتْ
 وَتُوَارِيهِ إِذَا مَا تَشَكَّرَ^(٥)
 وَتَرَى الضَّبُّ خَفِيفًا مَاهِرًا
 ثَانِيَا بُرْثَنَهُ مَا يَنْغَفِرُ^(٦)

(١) ويروى: بأرض الشام. يعني لا قريب له يساعد في شأنه وأحواله. ولا طيب يعوده ويشفيه مما ألم به.

(٢) ولو صادفتهن: يزيد النون. أسيس وحاقه: موضعان بالشام.

(٣) القلص: جمع قلوص، وهي الناقة الشابة. ما يعدقن: ما يجمعن.

(٤) الديمة: المطر. المطلاء: الفزيرة. وطف: استرخاء. طبق الأرض: تعم الأرض. تجري: تقصد. تدر: تصب الماء.

(٥) أشحذت: كفت وأقلعت. تشتكر: تحتفل بالماء، ويكثر فيها.

(٦) ماهر: حاذق بالسباحة. برهنه، وينغفر: يلصق بالتراب.

وترى الشجراء في زيقها
 كرؤوس قطعت فيها الخمر^(١)
 ساعة ثم انتحاما واابل
 ساقط الأكتاف واه منهمر^(٢)
 راح تمريره الصباثم انتحرى
 فيه شؤوب جنوب منفجر^(٣)
 نجح حتى ضاق عن آذيه
 عرض خيم فخفاف فیسراً^(٤)
 فذ غدا يخملني في أنفه
 لاحق الأبطل محبوكة ممر^(٥)

وقال امرؤ القيس حين رأى امرأة تدفن إلى سفح عسيب الذي
 مات عنده:

أجارتنا إن الخطوب تنوب
 وإنى مقيم ما أقام عسيب^(٦)

(١) الشجراء: الغابة، الشجر الملتئف. زيقها: استهلال المطر.

(٢) انتحاما: اعتمدها وقصدها. الوابل: المطر الشديد. الأكتاف: النواحي. واه: متخر.

(٣) الشؤوب: مطر دريح الجنوب. منفجر: سائل بغزاره.

(٤) نجح: صبّ. آذيه: موجة. عرض: سعة. خيم وخفاف وسر: أسماء أماكن.

(٥) لاحق الأبطل: ضامر الخصر، يعني فرسه. محبوكة: قوي. ممر: معتدل الخلق، مفتول العضل.

(٦) ذكر السيوطي أنه رأى في كتاب مقاتل الفرسان لأبي عبد، أن صخر بن عمرو أخ الخسأة لما أدركه الموت قال:

=

أجارتنا إنما غريبان هُمْنا
 وكلَّ غَرِيبٍ لِلغرِيبِ نَسِيبٌ^(١)
 فإنَّ تصلينا فالقرابةُ بيننا
 وإنَّ تضرمنا فالقريبُ غريبٌ
 أجارتنا ما فاتٌ ليس يبُؤوبٌ
 وما هوَاتٌ في الزمان قرِيبٌ^(٢)
 وليس غريباً من تناهٰت ديارهُ
 ولكنَّ مَنْ وارى الترابَ غرِيبٌ^(٣)

وقال امرؤ القيس يتوجع من مرضه بأرض الروم :

المَا عَلَى الْرَّبِيعِ الْقَدِيمِ بَسْغَسَعاً
 كَأَنِّي أَنَادِيَ أَوْ أَكَلِمُ أَخْرَسَا^(٤)

= أجارتنا إن الخطبوب تُنوب
 علينا وكل المخطوبين مصب
 أجارتنا لست الغداة بظاعن
 واني مقيم ما أيام عسب
 ومات ودفن بقرب - عبيب - قال فعلمه تواردا، قلت: إذا صع أن
 صخراً دفن بسفح عبيب، فلعله تمثل يقول امرئ القيس مع بعض تغيير في
 الألفاظ. وعبيب، اسم جبل قريب من أنقرة. والذي نعرفه أن صخراً مات
 هناك .

(١) يعني أن الغريب نسيب للغريب لأن الغربة تجمع بينهما.

(٢) ليس يبُؤوب: لن يعود.

(٣) تناهٰت: تباعدت. ولكن من يموت ويدفن تحت التراب هو الغريب.

(٤) المَا: ميلاً وانزلاً. عسعن: موضع بالبادية.

فلو أن أهل الدار فيها كعهدا
 وَجَدْتُ مَقْبِلاً عَنْهُمْ وَمُعَرِّسًا^(١)
 فَلَا تَنْكِرُونِي إِنْسِي أَنَا ذَاكُمْ
 لِيالي حل العي غولا فانعا^(٢)
 تأوبني دائني القديم فغلسا
 أحاذر أن يرتد دائني فانكسا^(٣)
 فاما تريني لا أغمض ساعه
 من الليل إلا أن أكب فانعا^(٤)
 فيما رُب مكروب كررت وراءه
 وطاعت عن الخيل حتى تنفسا^(٥)
 وما رب يوم قد اروح مرجلأ
 حبيبا إلى البيض الكواكب أملسا^(٦)
 يرعن إلى صوتي إذا ما سمعته
 كما نرعوي عيط إلى صوت أعيسا^(٧)

(١) المقليل: المكان الذي تنزل فيه وقت القائلة في منتصف النهار. المعرس: ضد المقابل.

(٢) غول: جبل في حضرته واد فيه نخيل وعيون للضباب. العس: جبل في ديار بني عامر.

(٣) تأوبني: أتاني. أحاذر: أخشي، من الحذر: الخشية.

(٤) أكب: يأخذني شبه نوم فيعني رأسى فانعن.

(٥) مكروب: الواقع في كربة لا يقوى فيها على الخلاص. كررت: حملت واندفعت.

(٦) مرجلأ: مسرح الشعر. أملس: لم يبنى عارضا.

(٧) يرعون: يخفن. العيط: جمع عطاء وهي الناقة هنا.

أراهنُ لَا يَخْبِئنَ مِنْ قَلْ مَائِهٌ
 وَلَا مِنْ رَأْيِنَ الشَّيْبَ فِيهِ وَقُوَّسَا^(١)
 فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةٌ
 وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَساقطُ أَنْفَسَا^(٢)
 وَلَوْ أَنَّ نُومًا يَشْتَرِي لَا شَرِيرَةَ
 قَلِيلًا كَتَغْمِيْضِ الْقَطَا حِيثُ عَرَسَا^(٣)
 وَبِدَلْتُ قَرْحَا دَامِيَا بَعْدَ صَحَّةٍ
 فِي الْكَلْمَكِ مِنْ نَعْمَى تَحْوَلَنَّ أَبْؤَسَا^(٤)

كان بين امرئ القيس وبين سبيع بن عوف أحد بنى طيبة
 وشبيحة قريبي ، فنزل عليه سبيع ، وسأله فلم يعطه شيئاً ، فذمه
 سبيع ، ورد عليه امرؤ القيس مفتراً .

أَبْلَغْ سُبْئِيْعًا إِنْ عَرَضْتَ رِسَالَةً
 إِنِّي كَهْمَكَ إِنْ عَشَوْتُ أَحَامَ^(٥)

(١) أراهن: يعني النساء . قوس: انحنى ظهره لكبر سنه .

(٢) فلو أنها نفس: يربده نفسه . تموت جماعة: مرة واحدة .

(٣) القطالا ينام إلا غراراً . لذلك قال الشاعر:

ولولا المزعجات من الليالي

لما ترك القطا طيب المنام

(٤) وبدلت فرحاً: البست نزفاً وجروحاً نتيجة ما ألسنه ملك الروم .
 والظاهر أن تلك الحلة المسومة التي لبها ، كانت السبب في مرضه الذي يشبه الجدرى .

(٥) هو سبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة الطهوي . كهمك: كالحال . عشوت: نظرت نظراً ضعيفاً . أحام: أدفع .

فاقصرْ إِلَيْكَ مِنَ الوعيدِ فَإِنِّي
 مَئَا أَلَاقِي لَا أَشُدْ حِزَامِي^(١)
 وَأَنَازَلَ الْبَطْلَ الْكَرِيمَ بِرَزَالَهُ
 وَإِذَا أَنَاضَلْ لَا تُطِيشُ سَهَامِي^(٢)
 وَأَنَا الْمُنْبِهُ بَعْدَ مَا قَدْ نَوَمْوَا
 وَأَنَا الْمَعَالِنُ صَفَحَةُ النُّوَامِ^(٣)
 وَأَنَا الَّذِي عَرَفْتُ مَعْدَهُ فَضَلَهُ
 وَنَثَذْتُ عَنْ حَجَرِ ابْنِ أَمْ قَطَامِ^(٤).
 خَالِي ابْنُ كَبِشَةَ قَدْ عَلِمْتُ مَكَانَهُ
 وَأَبْوَيْزِيدَ وَرَفِطَهُ أَعْمَامِي^(٥)
 وَإِذْ أَذَيْتُ بِبَلْدَةِ وَدَغَثَهَا
 وَلَا أَقِيمُ بِغَيْرِ دَارِ مُقَامِ^(٦)

(١) فاقصر: فامسك عليك من وعيك. لا أشد حزامي: لست في حاجة إلى أن أنهى وأستعد لنزال مثلك.

(٢) أنازل البطل: أقاتل الشجاع. أناضل: أرمي بالبال. لا تطيش سهامي: لا تخطي، الهدف.

(٣) أنا المنبه: المزعج أعدائي وهم في نومهم. المعالن: الذي يقابل أعداءه وجهًا لوجه.

(٤) معده: قبائل العرب من معده بن عدنان. حجر ابن أم قطام: أبوه وهكذا لقبه.

(٥) خالي ابن كبشة: يعني المهلل بن ربيعة. أبو يزيد: كنية أحد أعمامه وهو كثير.

(٦) يعني إذا نالني أذى في بلدة تركتها إلى غيرها وحرمت على تبني المقام بها.

ومما قاله أيضاً:

لمن طَلَلْ بَيْنَ الْجُدِيدَةِ وَالْجَبَلِ
مَحْلٌ قَدِيمٌ الْعَهْدُ طَالَتْ بِهِ الطُّبِيلُ^(١)
عَفَا غَيْرُ مُرْتَادٍ وَمَرَّ كَسْرَحَبٌ
وَمَنْخَضُ طَامٍ تَنَكَّرَ وَاضْمَحْلُ^(٢)
وَزَالَتْ صَرُوفُ الدَّهْرِ عَنْهُ فَأَصْبَحَتْ
عَلَى غَيْرِ سَكَانٍ وَمَنْ سَكَنَ ارْتَحَلُ^(٣)
تَنْطَعُ بِالْأَطْلَالِ مِنْهُ مُجَلْجَلٌ
أَحْمَ إِذَا احْمَوْتَ سَحَابَهِ انْسَجَلُ^(٤)
بَرِيقٌ وَبَرْقٌ لَاحُ بَيْنَ سَحَابَيْ
وَرْعَدٌ إِذَا مَا هَبَّ هَاتَفَهُ هَطَلُ^(٥)
فَأَنْبَثَ فِيهِ مِنْ غَشْنَضٍ وَغَشْنَضٍ
وَرَوْنَقٌ رَنْدٌ وَالْصَّلَنَدَدُ وَالْأَسْلُ^(٦)

(١) الطَّلَلُ: الأَثَرُ الدَّارِسُ. الْجُدِيدَةُ: جَبَلٌ بِنْجَدٌ طَيْءٌ. الطُّبِيلُ: الْأَيَّامُ الْمُنْتَعَاوِلَةُ.

(٢) عَفَا: دُرُسٌ وَامْحَتَ أَثَارُهُ. السَّرَّحَبُ: الْفَرَسُ الطَّوِيلُ.

(٣) ارْتَحَلُ: تَحْمَلُ إِلَى أَرْضِ ثَانِيَةٍ.

(٤) تَنْطَعُ: يَرِيدُ أَنَّ الرَّعُودَ تَنَاطَحَتْ كَمَا الْكَبَاشُ. أَحْمَ: أَسْوَدٌ لَامْتَلَانَهُ بِالْمَغْرِبِ.
اَحْمَوْتَ: اَسْوَدَتْ. اَنْسَجَلَ: هَطَلَ مِنَ الْمَاءِ بِشَدَّةٍ.

(٥) هَبَ هَاتَفَهُ: ثَارَ رَعْدُهُ. هَطَلَ: سَعَ مَطْرَهُ بَقْوَةً.

(٦) غَشْنَضُ وَغَشْنَضُ: وَيْمَا يَكُونُانَ مِنْ أَسْمَاءِ النَّبَاتِ. رَوْنَقٌ رَنْدٌ: بَهَاءُ شَجَرَ طَبِيبِ
الرَّبِيعِ. الصَّلَنَدَدُ: نَبَاتٌ. الْأَسْلُ: نَبَاتٌ تَخَذَّذُ مِنْهُ الرَّمَاجُ.

وفيه القطا والبوم وابن حبوكل
 وطير القطاط والبلند والحجل^(١)
 وغنة والخيشوان وبرسل^(٢)
 وفرخ فريق والرفلة والرفل^(٣)
 وفيل وأذباب وابن خويدر
 وغنة فيها الخفيعان قد نزل^(٤)
 وهام وهمهام وطالع أنجد
 ومنجك الروقين في سيره ميل^(٥)
 فلما عرفت الدار بعد توحمي
 تكفف دمعي فوق خدي وانهمل
 فقلت لها يا دار سلمي ما الذي
 تمنت لا بذلت يا دار بالبدل
 لقد طال ما أضحيت قفراً ومائلاً
 ومتظراً للحي من حل أو رحل^(٦)

(١) ابن حبوكل: ليس له مسمى، ولكن أم حبوكل هي الدهيبة. القطا: طير معروف. البلند: أصل الحناه. الحجل: طير بري يشبه الدجاج.

(٢) العنة: الطبع، الخيشوان: لعله ذكر الضباع. برسل: من الوحش. الرفلة والرفل: الطويل الشعر والذيل.

(٣) أذباب: ذباب. ابن خويدر: العمارة الوحشية. غنة: اسم مكان. الخفيعان: لعله الجراد.

(٤) الهام: الصدى، وهو ضرب من الطير. وطالع أنجد: لعله حمار الوحش. منجك الروقين: الثور الوحشى. الروقان: القرآن. ولعله يرمى به الوعل.

(٥) مألف: مكان الاجتماع واللغة. حل: نزل.

وَمَا أُولَئِكَ إِلَّا جِنَانٌ أَوْانِسٌ
 وَرَبُّ فِتْنَةٍ كَاللَّيْثٍ مُشْتَهِرٌ بِطَلْعٍ^(١)
 تَعْلُقُ قَلْبِي طَفْلَةً عَرَبِيَّةً
 تَنْعَمُ فِي الدِّيَاجِ وَالْحَلْيِ وَالْحَلْلِ^(٢)
 لَهَا مَقْلَةٌ لَوْ نَظَرْتُ بِهَا
 إِلَى رَاهِبٍ قَدْ صَامَ اللَّهَ وَابْتَهَلَ^(٣)
 لَا صَبَحَ مُفْتَوِنًا مُغَنِيًّا بِحُبِّهَا
 كَانَ لَمْ يَصُمْ اللَّهَ يَوْمًا وَلَمْ يُصْلِ^(٤)
 أَلَا رَبُّ يَوْمٍ قَدْ لَهُوتَ بِدَلْهَا
 إِذَا مَا أَبْوَهَ الْلَّيْلَةَ غَابَ أَوْ غَفَلَ^(٥)
 فَقَالَتْ لِأَتْرَابِهَا فَذْ رَمَيْتَهُ
 فَكَيْفَ بِهِ إِنْ مَاتَ أَوْ كَيْفَ يَحْتَبِلُ^(٦)
 أَيْخُفِي لَنَا إِنْ كَانَ فِي الْلَّيْلِ دَفْنَهُ
 فَقَلَنَ وَهَلْ يَخْفِي الْهَلَالُ إِذَا أَفَلَ^(٧)

(١) الأوانس: الفتيات الحسان اللاتي يؤنسن بحديثهن. فتى كاللبيث: يربى به نفسه.

(٢) ويروى: تألف قليبي. طفلة: فتاة ناعمة رخصة الجسد.

(٣) ويروى: لها مقلة دعجا فلورنظرت بها إلى عابده..

(٤) لهام بها وافتتن بحبها وترك صلاته وصيامه من أجلها.

(٥) الدل: الغنج والدلال.

(٦) الاتراب: جماعة من سن احدة. يحتبل: يقع في الحالة وهي شرك الصائد.

(٧) أفل: غاب.

قتلت الفتى الكندي الشاعر الذي
 تدانت له الأشعار طرراً فيا لعل^(١)
 لمه تقتلني المشهور الفارس الذي
 يفلق هامات. الرجال بلا وجل^(٢)
 ألا يا بني كندة اقتلوا بابن عُمّكم
 وإنماً فما انتم قبيل ولا خول^(٣)
 قتيل بوادي الحب من غير قاتل
 ولا ميت يُعزى هناك ولا زمل^(٤)
 فتلك التي هام الفؤاد بحبها
 مهفهة بيضاء درية القبل^(٥)
 ولها في الناس قول وسمعة
 ولها في كل ناحية مثل^(٦)
 كان على أسنانها يُعذَّبَ هجومة
 سفرجل أو تفاح في القند والعسل^(٧)

(١) تدانت: تقارب. فيا لعل: دعاء بالنجاة.

(٢) بلا وجل: بلا حرف.

(٣) خول: أتباع وأنصار.

(٤) زمل: رفاق وأصدقاء.

(٥) مهفهة: لطيفة غير سمينة. درية القبل: كان مكان التقبيل منها - وهو الثغر - منظوم.

(٦) يعني شهرتها بين الناس، وسيرتها أصبحت كالمثل السائر بين الناس.

(٧) القند: عصير قصب السكر.

حجازية العينين مَكْيَةُ الحشا
 عِرَاقِيَّةُ الأطْرافِ رُومَيَّةُ الْكَفْلِ^(١)
 تهاميَّةُ الْأَبْدَانِ عَبْسِيَّةُ اللَّمَى
 خُزاعيَّةُ الْأَسْنَانِ دُرَيَّةُ الْقَبْلِ^(٢)
 وقلتُ لها أَيُّ الْقَبَائِلِ تَنْسِبِي
 لعلَّي بَيْنَ النَّاسِ فِي الشِّعْرِ كَيْ أَسْلِ^(٣)
 فَقَالَتْ: أَنَا كَنْدِيَّةُ غَرَبَيَّةُ
 فَقَلَتْ لَهَا: حَاشَا وَكَلَا وَهَلْ وَبَلْ^(٤)
 فَقَالَتْ: أَنَا رُومَيَّةُ عَجَمِيَّةُ
 فَقَلَتْ لَهَا: وَرَخِيزُ بِيَاخُوشُ مِنْ قَرْزِلْ^(٥)
 فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَجَذَتْ بَنَانَهَا
 مَخْضُبَةً تُحَكِّي الشَّوَاعِلَ بِالشَّعْلِ^(٦)
 فَقَبَّلَتْهَا تَسْعَا وَتَسْعِينَ قُبْلَةً
 وَوَاحِدَةً أَيْضًا وَكَنْتُ عَلَى عَجْلِ^(٧)
 وَعَانَقْتُهَا حَتَّى تَقْطَعَ عِقْدُهَا
 وَحَتَّى فَصُوصُ الطَّوقِ مِنْ جِينِهَا انْفَصَلَ^(٨)

(١) يعني أن مزاياد حبيبه تعود إلى نسب حجازي.

(٢) اللَّمَى: حمرة في الشفاه مع ميل إلى السواد.

(٣) (٤) يزيد من النسب العربي لحبيبه.

(٥) رخِيز بِيَاخُوش: كلمتان روميتان لم يتثنَ معناهما.

(٦)(٧)(٨) أبيات مفهومة المعنى كلها في وصف العجيبة.

كَانَ فَصْوَصَ الطُّوقَ لِمَا تَأْتَرَتْ
ضَيَاءُ مَصَابِعِ نَطَابِرَنَّ عَنْ شَعْلَنْ
وَآخَرُ قَوْلِي مِثْلَمَا قُلْتُ أَوْلَأَ
لَمْنَ طَلَلَ بَيْنَ الْجَدِيدَةِ وَالْجَبَلَ



فهرس المراجع المعتمدة

- ١ - ديوان امريء القيس - جماعة من الأدباء. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٩٨٣.
- ٢ - شرح المعلقات العشر - د. مفيد قميحة - دار ومكتبة الهلال - بيروت ١٩٨٧.
- ٣ - د. علي الجندي - تاريخ الأدب الجاهلي . ط ١ - مكتبة الجامعة العربية - بيروت ١٩٦٦.
- ٤ - د. شوقي ضيف - العصر الجاهلي ، ط ٦ - دار المعارف بمصر ١٩٦٠.
- ٥ - محمد بن سلام الجمحى : طبقات الشعراء ط ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٢ .
- ٦ - ابن قتيبة - الشعر والشعراء - ط ٢ . تحقيق د. مفيد قميحة - دار الكتب العلمية - ١٩٨٥ .
- ٧ - لويس شيخو - شعراء النصرانية - بيروت ١٨٩٠ .
- ٨ - الأغاني ج ٩ . دار الكتب . القاهرة .

- ٩ - الهمذاني - صفة جزيرة العرب - بريل ١٨٨٤ .
- ١٠ - تاريخ اليعقوبي ، ج ١ - دار صادر - بيروت ١٩٦٠ .
- ١١ - تاريخ ابن خلدون - المقدمة - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٥٦ .
- ١٢ - الجاحظ - البيان والتبين - تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٤٨ .
- ١٣ - بروكلمان - تاريخ الأدب العربي - ج ١ - ت.د. عبد الحليم النجار - دار المعارف القاهرة ١٩٥٩ .
- ١٤ - د. علي الجندي - مصادر الشعر الجاهلي ج ١ .
- ١٥ - سليم الجندي ، امرؤ القيس - دمشق ١٩٣٦ .
- ١٦ - معجم الشعراء للمرزباني - نشر كربلا .
- ١٧ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد - بولاق ١٢٩٣ هـ .

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

الفهرس

الفهرس

٣	المقدمة
٥	العصر الجاهلي
١٣	أسواق العرب
١٧	حياة امرىء القيس
٣٦	السيرة الأدبية
٤١	السيرة الشخصية
٤٥	أغراضه الشعرية
٧٩	الطبيعة في شعره
٨٦	الفخر عند امرىء القيس
٨٩	المدح والذم في شعر امرىء القيس
٩٢	الشكوى والتحسر في شعر امرىء القيس
١٠٠	أسلوبه وخصائصه العامة
١١١	المعلقة
١٣١	نماذج من شعر امرىء القيس
١٤٧	فهرس المراجع المعتمدة
١٥١	الفهرس

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com